

العربية: لغةٌ وكتابةٌ

د. محمد محفل

جامعة دمشق

أ- اللغة:

١- اللغة والمجتمع.

٢- العربية وانتسابها اللغوي.

٣- العربية الفصحى، انتسابها ومكانتها.

ب- الكتابة:

١- من الصورة إلى المقطع الصوتي.

٢- من المقطع الصوتي الصوري إلى الحرف الأبجدي الكنعاني "الفينيقي".

٣- من الأبجدية الكنعانية إلى الكتابات الآرامية.

٤- الكتابة العربية الحجازية بين الأقلام الآرامية والخط المسند.

ج- الجداول المقارنة.

د- ملاحق النقوش.

هـ- ثبت المصادر والمراجع.

أ- اللغة:

١- اللغة والمجتمع:

لا حاجة بنا إلى القول بأنه لا لغة بلا مجتمع، كما أنه لا وجود لمجتمع بغير لغة، ومن نافلة القول أيضاً أن نقرّر الصعوبات التي تعترض سبيل الباحثين وذوي الاختصاص، لمعرفة تاريخ ومكان وكيفية نشوء "اللغة الأولى" لبني البشر. فهذا ليس قصدنا ولا مجال لذلك في عجالتنا هذه، متغاضين عن أهواء أولئك الذين

اهتدوا بما جاء في التوراة، (سفر التكوين، الإصحاح الحادي عشر):

- ١- وكانت الأرض كلها لغة واحدة وكلاماً واحداً.
- ٢- وكان أنهم لما رحلوا من المشرق وجدوا بقعة في أرض شنعار فأقاموا هناك.
- ٣- وقالوا تعالوا نبني لنا مدينة وبرجاً رأسه إلى السماء...
- ٤- فنزل الرب لينظر المدينة والبرج..
- ٥- وقال الرب هاهم شعب واحد ولجميعهم لغة واحدة..
- ٦- هلمّ نهبط ونبلبل هناك لغتهم حتى لا يفهم بعضهم لغة بعض...
- ٧- فبددهم الرب من هناك على وجه الأرض كلها..
- ٨- ولذلك سُميت بابل لأنّ الرب هناك بلّبل لغة الأرض كلّها..

لا تعليق لنا على ما جاء أعلاه!! مع العلم بأن اسم بابل لا يعني في الأكديّة- البابلية والآرامية لاحقاً "باب إيلو/ باب إيلا" سوى (باب إيل = باب الله) وإيل كما نعلم هو رب الأرباب في الهلال الخصيب، في إحدى الجُقب، ومن هنا الأسماء المركبة: اسماعيل، جبرائيل، عزرائيل، اسرافيل، الخ... ولدينا في الضاحية الجنوبية لدمشق بلدة "ببّيلا" بمعنى (باب الله).

لم يكن هدفنا من هذه اللقطة الاشتقاقية لاسم بابل، سوى التمهيد لما سنلاحظه لاحقاً من تشابهٍ جليّ واضح، بين اللغة العربية، كما أدركناها في الأدب الجاهلي وفي الخطاب القرآني فيما بعد، إضافة لما نجده في مختلف وثائق الحضارة اليمنية والنقوش القديمة (ثموديّة، لحائيّة، صفائيّة، وقال البعض صفويّة) وجميعها بالقلم المسند، أي بالتراث اللغوي لشبه الجزيرة العربية قبل الإسلام؛ هذا من ناحية، وبين لغات بلاد الرافدين والشام ووادي النيل، إضافةً لشمال إفريقية، تلك اللغات واللهجات التي أطلق عليها البعض اسم اللغات "الحامية- السامية".

أعلن نفرٌ أن السريانية هي لغة "الإنسان الأول" واحتجّ آخرون على ذلك زاعمين أنها العبرية -مع العلم بأنه لا كيان لـ "عبرية قديمة" خارج دائرة اللغتين الكنعانية والآرامية، وأكد آخرون أنها العربية؛ بل شطت مخيلة هذا الفريق أو ذاك، عندما زعموا أن لغة أهل الجنة هي هذه أو تلك!!

غنيّ عن البيان أن شتى هذه الدعاوى لا علاقة لها بمنطق الأمور، وتندحسها مختلف الدراسات اللغوية المقارنة. ولا مجال لنا للاستغراق في الحديث حول ذلك. ولكن لا بأس من ذكر بعض هذه الدراسات (1)، إذ من البديهي أن يطمح البعض إلى متابعة هذه النقطة أو تلك، وهذا أمر مفهوم.

قال البعض، إن الإشارات والرموز التي ظلت الوسيلة الوحيدة للتفاهم لدى الجماعات البدائية، حتى مطلع قرننا هذا، (مجاهل أقيانوسية وإفريقية الخ....)، والتي نلاحظها في الطفل قبل أن يتعلم الكلام، تعطينا فكرة تقريبية عن وسيلة التفاهم الأولى لدى الكائنات البدائية، وبعد الإشارات هذه جاءت الأصوات فالكلمات: أحادية الصوت أو ثنائيتة الخ... ثم كانت اللغة؛ والحالة هذه، فاللغة أصلاً هي أصوات وليست كلمات، والكلمة صوتٌ يرمز إلى معنى، وكتابة الكلمة رسمٌ يرمز إلى هذا الصوت، إذا فالصوت هو الأصل. جاء في القاموس المحيط (الفيروز آبادي): "واللغة أصواتٌ يُعبّر بها كلُّ قوم عن أغراضهم". ويضيف ابن منظور في مادة "لغا": ".... واللغة، اللسن، وحذّها أنها أصواتٌ يُعبّر بها كلُّ قوم عن أغراضهم....".

ونلخص فقرتنا هذه بما قاله (الأستاذ أحمد عبد الرحيم السائح): "... وقد يصعب على الباحث معرفة متى وأين وكيف بدأت اللغة، إلا أننا لا نعدو الصواب، إذا قلنا: إنها بدأت عندما تكونت أول جماعة إنسانية في هذا الوجود، ولا نعدو الصواب أيضاً إذا قلنا: إن الجماعة الإنسانية الأولى -أيأ كان طابعها- عندما تكونت صحبت معها مشاكلها الخاصة، الناتجة عن علاقات الأفراد بعضهم ببعض، والناتجة عن علاقة الإنسان بالبيئة والطبيعة.

وفي سبيل البحث عن حل لتلك المشاكل الجديدة في نوعها، تولد النشاط الإنساني في استخدام الصوت، لتكوين ألفاظ لغوية، بدائية الطابع، والإتصات لتلك الأصوات، بما يتبعه من مسلك ذهني لفهم مدلولها اللفظي عن طريق الأذن. تجسد هذا النشاط الإنساني المتميز من كائنات الطبيعة الأخرى، في صيحات موسيقية، تومي بمعان سحرية، تختلف في دلالتها باختلاف موسيقاها.. بذلك تكون العنصر الأساسي للبيئة الثقافية الخاصة بالإنسان وحده.. وليست على هذا الأساس، البيئة التي يحيا فيها الإنسان، يعمل ويبحث مادية فقط، بل ثقافية كذلك، فأفعال الإنسان وكيفية أدائه لها، لا تتوقف على التكوين العضوي لجسده فقط، بل البيئة والإنسان يتأثران كذلك بمؤثرات تراثه الثقافي المنبث في التقاليد والنظم الاجتماعية والعادات والأهداف والمعتقدات التي تحملها الألفاظ اللغوية. في طبيها وتوحي بها. (2)

2 - العربية وانتسابها اللغوي.

من الأمور المقررة حالياً -في الدراسات الجامعية والأكاديمية- والخاصة بأصل الشعوب وألسنها، أنه لا يمكن أن نقيم علاقة مطلقة بين الأصل العرقي لشعب ما، وبين اللغة التي ينطق بها، ويمكننا أن نتيقن من ذلك، بدلائل وشواهد قديمة وحديثة، إذ نجد أقواماً وشعوباً تهجر ألسنتها الأصلية، لمصلحة ألسن أقوام أخرى، لأسباب سياسية أو اقتصادية أو دينية الخ.... فمثلاً اللغة الحورية اندثرت في سورية، بعد زوال سلطان الدولة الميتانية، في نهاية القرن الرابع عشر (ق.م)، لمصلحة لغة السكان المحليين. الكنعانية فالآرامية. وكذلك الفلسطينيون^(١)، وهم من أقوام شعوب البحر^(٢)، فبعد استقرارهم على الشريط الكنعاني الجنوبي، هجروا لغتهم لمصلحة الكنعانية، وكذلك أولئك الذين أطلقوا عليهم اسم الاسرائيليين القدماء فاليهود فيما بعد، منذ تسللهم إلى فلسطين، بعد القرن الثاني عشر (ق.م) ومروراً بالسبي الآشوري (٧٢١ ق.م) فالبابلي بمرحلتيه (٥٨٦/٥٩٧ ق.م) وانتهاء بتشريدتهم النهائي على يد الرومان (عام ١٣٥م).... أما بالنسبة للأزمنة الحديثة والمعاصرة، فالشواهد على ذلك وافرة متنوعة: فالأقوام والشعوب التي تنطلق اليوم بالإسبانية والبرتغالية في مختلف أنحاء أمريكا الجنوبية، لا حصر لأصولها العرقية، ونحن نعلم أن الاسبانين والبرتغاليين قد شرعوا في استعمار العالم الجديد- لاسيما القسم الجنوبي منه- منذ مطلع القرن السادس عشر.

^(١) نعي بهم أولئك الجماعات الذين هاجموا سواحل الدلتا المصرية، وبعد فشلهم توجهوا نحو الساحل الكنعاني الأدنى | الفلسطيني، حيث استقروا على الشريط الساحلي الممتد من يافا حتى غزة وأسسوا عدة مدن منها اشرد و عسقلان. وسمهم في المراجع الانكليزية حالياً plaestinian وهم غير "الفلسطينيين palestinian

^(٢) وهم الأقوام الذين اكتسحوا الخوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط- ومنهم الفلسطينيون- في القرن الثاني عشر (ق.م)، انطلاقاً من جزر بحر إيجه وكريت بل ومن صقلية وسردينية. الخ...

رجل هو سام، وحري بالعلم أن يبنى أحكامه على حقائق علمية، وأن يبتعد عن القصص والأساطير" (4).

وغني عن البيان، أنه لا يمكن تمييز أولئك "الساميين" عن غيرهم من أقوام وطننا العربي القديم، استناداً إلى ماهية العرق البشري فقط، إذ أن هؤلاء قد امتزجوا، منذ الألف الرابع (ق.م)؛ بسواهم من الأقاليم المنحدرة من جبال زاغروس أو المتدفقة من بلاد الأناضول أو الوافدة من جزر الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط: من سومريين⁽³⁾ وغوتيين⁽⁴⁾ وحثيين⁽⁵⁾ وكاشيين⁽⁶⁾ وحوريين-ميتانيين⁽⁷⁾ وفلسطينيين⁽⁸⁾ وفارس أحمينيين⁽⁹⁾ وإغريق ولاتين⁽¹⁰⁾ وغيرهم. ومع أن أولئك الأقاليم قد نطقوا باللسان مغايرة لما كان سائداً في ربوعنا، فلم يتمكنوا من فرض لغاتهم على أهل البلاد، فظلت محدودة في أوساطهم لتندثر بزوال سلطانهم السياسي.

وأظهرت شتى الدراسات المقارنة الخاصة بأصول السلالات البشرية (الاثنولوجية)، أن عملية تمازج الشعوب لم تنقطع منذ عصور ما قبل التاريخ، من جراء الهجرات البشرية المختلفة، مما أدى إلى اختلاط دماء شتى الشعوب، وينطبق هذا الأمر على وطننا العربي القديم كما ذكرنا أعلاه.

ولا ينبثق اختلاف الأمم في التفكير والسلوك عن نوعيات عرقية مطلقة، بل يتحدد ذلك بالشروط والظروف الاقتصادية-السياسية والاجتماعية لشعب ما، إضافة للعوامل الجغرافية التي تؤمن شروطاً مناخية معينة، لا يُكرّر دورها في هذا المضممار. وعندما نشير إلى جنس ما، فلا يخطر على بالنا صفاء عرقه، بل نقصد بذلك تلك الصفات التي تميز حضارته وثقافته في مختلف الميادين، على مرّ الأيام والسنين، وأهم حقل تشع فيه الخصائص المشتركة لأمة من الأمم، هو حقل اللغة، ويبدو هذا الأمر جلياً واضحاً في لغات ولهجات وطننا العربي عبر العصور. وإليك أهم خواص وميزات تلك الألسن، في بعض مركباتها، وأحوالها واختلافاتها عن غيرها من اللغات.

أ- اشتقاق أغلبية المفردات من جذر ثلاثي، ولذلك أطلق علماء اللغة عليها صفة "ثلاثية الجذر" TRILITERE / TRILITERAL / ونعلم أن المشتق ومصدره، في لغتنا العربية وأخواتها، يتفقان في الحروف الأصلية وترتيبها، فنقول: "تَصَنَر" وناصر ومنصور ومنقصر الخ.. وكتَبَ وكتب وكتابة ومكتوب ومكتبة وتكاتب الخ.. ونَفَقَ واستنفق والنفاقة والنفقة والمنفاق الخ..." نلاحظ أنه في مختلف المفردات المشتقة من

(3) ظهر السومريون في المنطقة الجنوبية لبلاد الرافدين، بدءاً من منتصف الألف الرابع (ق.م)، وقد اعتبرهم البعض سابقاً غرباء عن المنطقة وأظهرت دراسات مقارنة حديثة إمكانية تطوّرهم عليها.

(4) انحدروا إلى بلاد الرافدين عبر جبال زاغروس، في أواخر الألف الثالث (ق.م) وساهموا في القضاء على الدولة الأكديّة.

(5) من أقوام آسية الصغرى، انطلقوا من الأناضول ليقوموا بدور ملحوظ في النصف الثاني للألف الثاني (ق.م)، في البقاع الشمالية لسورية وأحياناً في بلاد الرافدين.

(6) موطنهم الأصلي في أراسط جبال زاغروس، احتلوا مدينة بابل وورثوا ممتلكاتها ودام حكمهم نحو أربعة قرون ونصف (١٥٩٥-١١٦٠ ق.م).

(7) أسس الحوريون الدولة الميتانية التي كان لها دور بارز في شمال بلاد الرافدين وسورية في القرنين السادس عشر والخامس عشر (ق.م).

(8) انظر ماجاء عنهم سابقاً.

(9) أسسوا أول دولة فارسية في منتصف القرن السادس (ق.م) ليقضي عليها الاسكندر المقدوني عام (٣٣١ ق.م).

(10) في العصرين الهلنستي (السلوقي) والروماني (الرومي).

(نَصَر)، أن ترتيب الحروف ثابت (ن/ فاء الفعل، ص/ عين الفعل، ر/لامه)، وكذلك بالنسبة لـ (كَتَبَ: ك، ت، ب) وأيضاً لـ(نَفَقَ: ن، ف، ق).

ونعلم أيضاً أنه في بعض المشتقات يحصل اتفاق في الحروف الأصلية، دون ترتيبها، مع تناسب في المعنى، وذلك هو الاشتقاق الكبير (القلب). والاشتقاق في لغتنا العربية وأخواتها هو على ثلاثة أشكال: الاشتقاق الصغير، وهو اشتقاق كلمة من جذر بشرط أن يكون بين المفردتين تناسب في اللفظ والمعنى وترتيب الحروف، مع تغاير في الصيغة، مثل: كَتَبَ، كتابة، مكتوب الخ.. ثم لدينا الاشتقاق الكبير، حيث نجد تناسباً في اللفظ والمعنى دون ترتيب الحروف، مثل جَذَبَ وجَبَذَ، طاف وطفأ، جَدَلَ وجَلَدَ الخ... وقالوا أيضاً: "القلب" كما ذكرنا. ويأتينا بعد ذلك الاشتقاق الأكبر وهو "الإبدال" حيث نجد بين لفظين تناسباً في المعنى ومخارج الحروف دون تناسب في اللفظ، نحو: نَفَقَ ونَهَقَ، ضَمَ (ضَمَمَ) وضَمَدَ، رَصَ (رَصَصَ) ورَصَفَ، رَجَ (رَجَجَ) ورَجَفَ، الخ.. هذا، إضافة إلى الاشتقاق الكبار، وهو النحت، وهو أن تختصر من كلمتين فأكثر كلمة واحدة، ولا يشترط فيها حفظ الكلمات بتمامها، ولا يؤخذ أحياناً من كل الكلمات كما أنه ليس من الضروري موافقة الحركات والسكنات، ولكن لابد من مراعاة ترتيب الحروف والنحت عند جمهور العلماء على أربعة أشكال:

فعلي، نحو: بَسَمَل (إذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم)، حَوَّل (لا حول ولا قوة إلا بالله)، حَمَدَل (الحمد لله)، سَمَعَل (السلام عليكم)، حَسَبَل (حسبي الله)، جَعَقَل (جعلني الله فداك). الخ... والوصفي نحو: الصلدم بمعنى الصلد، وهو الأسد أيضاً، والاسمي، نحو الجلمود، بمعنى (الصخر القاسي، من جلد وجمد) والنسبي، وهو أن نشق من منسوب مدينتين أو بلدين أو شخصين منسوباً واحداً، نحو عبدلي (نسبة إلى عبد اللات) وعبدري (من عبد الدار) وطبرخزي (من طبرستان وخوارزم) الخ...

ولكل ذلك أصوله القياسية لدى جمهور العلماء. وعندما نقع في العربية على كلمة يتجاوز عدد حروفها الصامته ثلاثة حروف أصلية، فعلينا أن نتأكد أنها ليست دخيلة وحينئذ نبحث عن أصولها الاشتقاقية. هذا في لغتنا العربية وكذلك في أغلبية أخواتها القديمة.

ب- انعدام الحياء في لغتنا العربية وفي أخواتها القديمة: كالأكدية-البابلية- الآشورية والكنعانية والآرامية ولغات ولهجات شبه الجزيرة العربية القديمة من سبئية ومعينية وحضرية وحبشية ولحيانية وثمودية وصفانية وكلها بالقلم المسند، بأشكاله المختلفة، وذلك في أسماء الجنس والصفات وأسماء الإشارة والموصول والضمائر والأعداد، الخ... فهي إما أن تكون مؤنثة أو مذكرة، بعكس ما نجده غالباً في اللغات الهندو-أوروبية، التي تضم المحايد إلى جانب المذكر والمؤنث. ويبدو هذا جلياً واضحاً في اللغتين اليونانية القديمة واللاتينية وكذلك في لغات حديثة كالألمانية والانكليزية (ضمير IT).

ج) تفردا بأصوات الإطباق (القاف، الصاد، الطاء، الظاء، الضاد)، ونجد الأصوات الثلاثة الأولى (ق، ص، ط) في العربية وأخواتها، بينما تعرّض حرفا (ظ، ض) للتبدل في بعضها. وقالوا إن صوت (الضاد) مقتصر على العربية الفصحى الحجازية، ومنه قولهم (العربية لغة الضاد). ونعتقد أن هذا غير صحيح. فأولاً نجد حرف (الضاد) في النقوش السبئية والحميرية على شكل (𐩦) ليتطور إلى (𐩦) ثم (𐩦) وأخيراً (𐩦)، ويمكن للراغب في الموضوع أن يطالع كتاب (مختارات من النقوش النيمية القديمة) (5)، في النقوش التالية (رقم النقش فالسطر) مع مراعاة الترتيب الأبجدي للمفردات:

(ضأن، اسم جمع، كالعربية ٧/١٨)؛ (ضبا، بمعنى خَارَبَ، ٧/٤٠)؛ (ضرس، بمعنى طوى بالحجارة ١/١٢٠)؛ (ضرك، طوى بالحجارة ١٢/٧)؛ (ضرع، بمعنى هزم، أذلَّ ١٨/٢، ٨/١٢، ٢٩/٧٣ ويأتي أحيانا غرب، مال، ٢/٣٤)؛ (ضفر، بمعنى ضَفَرَ، طوى بالحجارة بنراً ١/٣٦)؛ (ضمد بمعنى دعا إلى هدنة ٥/٦) الخ... كما تأكد وجود حرف (الضاد) في النقوش التمودية والصفائية(6)، كما قلنا أعلاه، نقول صفائية لاجتناب اللبس مع الصفوية (نسبة إلى الدولة الفارسية الصفوية ١٥٠٢-١٧٣٦م). وعلى قول بعضهم مؤخراً وجَد حرف (الضاد) في أحد النقوش الأوجاريتية(7)، وإضافة لهذا وذاك، نلاحظ هذا الصوت في بعض اللغات الأوروبية الحديثة.

فمثلاً في الانكليزية، فعل غَمَلَ (DO, DID, DONE)، فنلفظ (DO, DID) بحرف (د D)، أما (DONE) فنلفظها بحرف الضاد، هكذا (ضَنَ). وكذلك في الفرنسية، فلو أخذنا فعل PRENDRE (أخذَ)، في المستقبل، فنقول JE PRENDRAI (متكلم مفرد)، فحرف (D) هنا نلفظه (د)، أما في المتكلم الجمع، NOUS PRENDRONS وكذلك في الغائب الجمع ILS PRENDRONT فنلفظ حرف (D) وكأنه صوت (الضاد)، ولنأخذ حرف (ط)، من أصوات الإطباق، فمع أن هذا الحرف غير موجود في الأبجدية الانكليزية، ولكننا نسمعه أحيانا، ولنلفظ مثلاً NOT (لا) و BUT (لكن)، فنسمع حرف (T) في الحالتين وكأنه حرف (ط)؛ وعلى كل يختلف عن حرف (T) في TO (إلى، نحو، الخ....) و TO TAKE (أخذَ) الخ.... ومن أصوات الإطباق أيضاً، حرف (ق) الذي يقابل حرف (Q) في الأبجدية اللاتينية، فتارة نسمعه بصوت (ق) وأخرى بصوت (ك).

فلنأخذ مثلاً كلمة (QUOIQUE)، بمعنى (مع أن، وإن، ولو) الفرنسية، ففي مطلع الكلمة نلفظه بصوت (ق)، والحرف الثاني بقيمة (ك) وكذلك في الانكليزية، وعندما يراجع المرء باب (Q) في المعاجم الفرنسية والانكليزية يعثر على أمثلة شتى مماثلة.

ومع ذلك، فما أوضحناه أعلاه لا يلغي البند (ج) الخاص بـ(أصوات الإطباق)، والأمر ليس بهذه السهولة والبساطة. ولكن من الواضح أيضاً، أنه ما من أبجدية عكست قديماً وحديثاً، مختلف أصوات لغة أصحابها بشكل مطلق^(١).

والمشكلة قائمة أيضاً، كما نعلم، في كتابتنا العربية منذ نشأتها وحتى يومنا هذا، فمثلاً بالنسبة للحركات الثلاث: (الضمة والفتحة والكسرة)، المعبرة عن الصوائت (الواو، الألف، الياء). فكم من صوت تعجز هذه الحركات عن سلامة نطقه، لاسيما في اللهجات المحلية في مختلف ربوع وطننا العربي. ولا ندري حقاً لماذا اقتصر أسلافنا العلماء على هذه الحركات الثلاث، مع الشدة والسكون، علماً أن الكتابتين: الأرامية المتطورة والسريانية فيما بعد، قد ابتدعتا عدداً أكبر من الحركات (الكبرى، والصغرى) المعبرة عن أصوات تعجز أحيانا كتابتنا العربية عنها(8).

نرانا أسرفنا في الموضوع... ولا مجال لأكثر من ذلك في عجالتنا هذه.... ولكن الإشكال مازال قائماً وينتظر الحل على يد علماء اللغة العرب.. اليوم وغداً.

(د) يأتي العدد في لغتنا العربية وأخواتها، من ثلاثة إلى عشرة، على عكس المعداد، فهو مذكر مع المؤنث

^(١) يقول ابن جني في "الخصائص": "العبارة في إثبات الحرف بالنطق لا بالخط، لوجود اللفظ قبل الخط".

العراق العربي

والعكس صحيح، أما العدنان (واحد، واثنان) فيأتيان بموجب المعداد. فنقول : رجل واحد، وامرأة واحدة، رجلان اثنان، وامرأتان اثنتان، وثلاثة رجال، وثلاث نساء الخ.... إلا إن كانت العشرة مركبة، فهي على وفق المعداد. وللمقارنة مع اللغتين الآرامية والسريانية لدينا بعض المراجع المحلية الجامعية. (9).

(د) تضم لغتنا العربية مختلف الأصوات الحلقية (الهمزة، الحاء، الخاء، العين، الغين، الهاء)، بينما لم تحتفظ أخواتها إلا ببعضها، وأقلها الأكديّة التي لم تحتفظ سوى بصوتي (الهمزة والحاء).

(و) تشابه الضمائر المنفصلة إلى درجة كبيرة، وكذلك طريقة ارتباط الضمائر المتصلة بالأفعال والأسماء والحروف الخ....

(ز) التشابه الكبير في المفردات الدالة على أعضاء الجسم والعدد وصلات القرابة ومختلف مرافق الحياة المألوفة لدى أسلافنا في العصور القديمة وحتى صدر الإسلام، إضافة إلى التشابه في الضمائر والحروف وأسماء الإشارة، الخ....

وإليك الجدول المقارن لبعض تلك اللغات.

عربي شمالي	أكدي/بابلي/آشوري	كنعاني	آرامي/سرياني	يمني/حبشي
أب	أبو	أب	أبا	أب
ابن	بنو	بن	بر	بن
أخ	أخو	أخ	أخ	أخو
إبن	إزنو	إزن	أود	أزن
أربع	أربعو	أربع	أربع	أربع
اسم	شومو	شم	شم	شم
أم	أمو	أم	أما	أم
جمل	جملو	جمل	جمل	جمل
دم	دمو	دم	دم	دم
(و) (حرف عطف)	و	و	و	و
زَرَع	زرُو	زَرَع	زَرَعَا	زَرَع
يَد	أدو	يَد	إيدا	أد
كوكب	كاكبو	كوكب	كوكبا/كوكبا	كوكب
ماء	مو	مَيم	مايا	ماي
موت	موتو	موت	موتا	موت
ست (٦)	ششوا	شيش	شيش	سيسو
عين	أنو	عين	عينًا	عين

شمس	شَمَشُو	شِمَش	شَمَشْنَا	شمس
ثلاث (٣)	شلاشو	شَلُوش	ثلاث	شلاس

لم نتطرق في جدولنا أعلاه إلى اللغة المصرية القديمة، بكتابتها الهيروغليفية وأشكالها المختلفة على مرّ العصور. ونحن نعلم جيداً "النعمة الفرعونية، التي جعلت من اللغة المصرية القديمة "كياناً" قائماً بذاته، لا علاقة له بالسنة وطننا العربي البائدة منها والباقية، لقد تزعزت أركان "الفرعونية" بعد الدراسات اللغوية الحديثة. ولعلّ أفضل ماصدر في السنوات الأخيرة في هذا المجال، دراسة الدكتور علي فهمي خشيم، تحت عنوان (آلهة مصر العربية) (10) بحث في تاريخ وادي النيل ومعبودات قدماء المصريين واللغة المصرية القديمة، بمنهج عربي جديد).

وإليك جدول (رقم ١) شجرة لغات وطننا العربي، البائدة منها والباقية، بالإضافة طبعاً للمصرية القديمة (انظر مختلف الجداول والنقوش كملحق في آخر البحث).

3 - العربية الفصحى، انتسابها ، ومكانتها:

نقصد بالعربية الفصحى، تلك اللهجة التي أدركناها مكتملة القواعد والبيان، في الشعر الجاهلي ثم في القرآن الكريم والحديث الشريف، قبل أن نأخذ لاحقاً مناحي جديدة في العصرين الأموي والعباسي، فالعصور التالية حتى أيامنا هذه. والأمر المدهش بل المخير، عظمة بلاغتها وبيانها وغنى مفرداتها، بالنسبة إلى الكتابات اليمنية التي تمّ العثور عليها -حتى الآن- مع غيرها من النقوش للحيانية والثمودية والصفائية بالخط المسند، إضافة لتلك النقوش الشمالية، اعتباراً من منتصف القرن الثالث للميلاد وحتى نهاية القرن السادس للميلاد، وعلى وجه التحديد (عام ٥٦٨م) وهي محدودة العدد، وقد عُثِرَ عليها في المنطقة النبطية، ماعدا (نقش زيد)، كما سنرى وإليك تسلسلها:

أ- أقدم هذه الكتابات هو (نقش أم الجمل الأولى) (١١) نبطي اللهجة وبقلم نبطي، منقور في حجر شاهدة قبر "قهر بن شلى) مربى جذيمة، ملك تنوخ (١٢)، ويرجع تاريخه إلى حوالي (عام ٢٥٠م)، وهو بدء استعمال القلم النبطي عند ملوك العرب، ويُعتَبَر هذا النقش، على قصره، عظيم الأهمية، بإشارته للصلات التاريخية بين الأسر العربية الحاكمة في العراق وبلاد الشام. (انظر ملحق (١) "أ").

ب- والوثيقة الثانية هي كتابة النمارة (١٤)، على قبر الملك "امرئ القيس" ويرقى إلى (عام ٢٢٣) من سقوط البتراء (سُلع) والموافقة لعام ٣٢٩ للميلاد (١٥) ويتألف النقش من خمسة سطور منقوشة على صرح مربع، وهي بالقلم النبطي وبلغة آرامية/ عربية ويغلب عليها تراكيب الجملة العربية، وتكمن أهمية النقش في أنه أقدم نص مكتوب بلهجة قوم لسانهم قريب من لهجة أهل الحجاز. (انظر ملحق (٢) "أ").

(١١) قرية جنوبي بصرى، عُثِرَ فيها على أنقاض بيزنطية ونبطية وعربية.

(١٢) هو جذيمة بن مالك، أحد أرائل ملوك الحيرة التنوخيين، ويُعرف بالأبرش، ينسب الاخباريون العرب إلى العاربة الأولى.

(١٣) موقع في حوران، في حرة الصفا، حيث اكتشف العالم الفرنسي (دُروس) في مطلع هذا القرن نقش "امرئ القيس" وهو بالقلم النبطي المتأخر القريب من الخط العربي الباكر.

(١٤) عندما تضيف (١٠٦) عام سقوط البتراء، عاصمة الأنباط، إلى ٢٢٣ (تاريخ النقش)، نحصل على تاريخ النقش بالميلادي، وهو ٣٢٩. (انظر ملحق (٢) "أ").

ج- والوثيقة الثالثة هي كتابة "زبد" وهي خربة، تقع جنوبي- شرقي حلب، ويرجع تاريخه لعام (٥١٢م) ويتكون النقش من كتابات بثلاث لغات: يونانية وسريانية وعربية قديمة. (انظر جدول رقم (٣)، خانة ٨)، ونقشت الكتابات على حجر كائن في صرح الكنيسة.

د- أما النص الرابع، فهو الشهير بنقش "حران"، (الصفاء، في اللجاة، شمالي جبل العرب)، وتاريخه هو عام (٥٦٨م). وهو منقور في حجر فوق باب مزار، وأغلب الظن أنه يعود لأحد أمراء كندة، الذي أشار على حاشيته به، بمناسبة تدشين مزار (مشهد/ مرطور) تكريماً للشهيد القديس "يوحنا المعمدان". وتمتاز هذه الوثيقة بكون لهجتها قريبة إلى درجة كبيرة من العربية الحجازية، ولاسيما لهجة قريش. كما أن الخط يقترب كثيراً من النسخي القديم (١١). واعتباراً من هذا النص، راحت الكتابة العربية الشمالية (الحجازية) تبتعد تدريجياً عن القلم النبطي. (انظر ملحق (٣) "١" و جدول رقم (٣)، خانة ٧).

تزداد حيرتنا أكثر فأكثر، عندما نقيس ركاكة أسلوب محتوى النقوش، التي أشرنا إليها أعلاه، ببلاغة سحر الشعر الجاهلي وجزالته فالقرآن الكريم، مما لا شك فيه، أن تلك الكتابات الوجيزة لا تعكس بالضرورة حقيقة لغة التخاطب اليومي، وبالأحرى، ماهية الخطاب الأدبي. لسكان شبه جزيرة العرب، ولاسيما في ربوعها الوسطى والشمالية (نجد، الحجاز، بلاط الحيرة، بادية الشام الخ....) ومع ذلك، يظل ذلك الموضوع الملح، الذي شغل بال علمائنا السابقين والباحثين المحدثين، من عرب وغيرهم، قائماً وبلا جواب مقنع حاسم، حتى يومنا هذا، وعيننا بذلك: أين ومتى تمت تلك "الطفرة النوعية، اللغوية لعربيتنا الفصحى، التي أدرناها في بلاغة وبيان الشعر الجاهلي ثم في الإعجاز القرآني فجزالة الحديث الشريف؟!....

قد يتسبط البعض كنه المشكلة بحصره القضية في عبقرية قريش وعالمها... وقد يلجأ آخرون إلى القول، إن عربيتنا الفصحى هذه، هي أبنية أزلية بصفتها لسان إنساننا الأول، في شبه جزيرة العرب، منذ أن كان... وقد "ينسف" نفر آخر شتى "أقاويل" الشعر الجاهلي وغيره، كما عهدنا ذلك في العقود الأولى من قرننا العشرين هذا.... الخ... أما الرأي الأول، فليس بالجواب الشافي... في حين أن الزعم الثاني تتقضه مختلف لهجات النقوش اليمنية واللحيانية والثمودية والصفائية الخ (من القرن التاسع ق.م وحتى القرن الرابع للميلاد).. وكذلك الاجتهاد الثالث، الذي دحضت دعاويه، مختلف الدراسات اللغوية والأدبية المقارنة، التي بحثت موضوع لهجات ولغات شتى الأمم والشعوب، منذ خطواتها البدائية وحتى نهاية العصر الوسيط، فاقترحت سلسلة المراحل التالية، التي واكبت -كما سنرى- مخربشات GRAFFITI الإنسان البدائي وحتى ايداع الأبجدية، مروراً بمختلف الأشكال والصور الكتابية:

الأصوات ← التمتمة ← الغناء ← السجع/الرجز ← الشعر ← النثر.

لا ندرى!... ألا يكمن بعض الجواب عن إشكال عنصري الزمان والمكان "للفطرة النوعية"، التي أشرنا إليها أعلاه، في غموض مفهوم المساحة الجغرافية لعالم "العرب" على مرّ العصور وكذلك في تطور دلالات كلمة "عرب" على كَرّ الأيام والسنين؟!....

من المعروف، أن مختلف -ونقل غالبية- اجتهادات علمائنا السابقين، وكذلك أبحاث ودراسات المستشرقين والباحثين العرب المحدثين، قد حصرت مجال نشأة وتطور اللغة العربية "العتيقة" في قلب الجزيرة العربية، أو بالأحرى، في تلك الربوع الشهيرة حالياً باسم "المملكة العربية السعودية" إضافة إلى اليمن

والإمارات العربية، وكان مجتمعات شبه الجزيرة تلك، كانت في عزلة تامة عن عالم الهلال الخصيب ووادي النيل، وطبعاً، دون أن يتقاسوا تلك الموجات البشرية "السامية" المنطلقة من قلب الجزيرة العربية، بين حقبة وأخرى، لتستقر في بلاد الرافدين والشام ووادي النيل، بل راح بعض المحدثين "يفلسف" الموضوع برسمه تواريخ محدّدة لتلك الهجرات البشرية "السامية (كذا)" عبر العصور: انطلاقاً من الألف الرابع (ق.م). فالعصر الأكدي/ البابلي، ثم الكنعاني فالآشوري/ الآرامي حتى الفتوحات العربية/ الإسلامية.

وقبل أن نسعى إلى إيضاح ما يدور في خلدنا، نودّ الإشارة إلى ما ذهب إليه بعض المستشرقين. فمنهم (ثيودور نولدكه ١٨٣٦-١٩٣٠) مثلاً جعل بلاد أرمينية المهد الأصلي "للساميين". ويبدو أن قوله هذا جاء متأثراً بما ورد في (سفر التكوين، الإصحاح الثامن، ٤). لتعيين البقعة التي استقر فيها فلك نوح: "واستقرت السفينة في الشهر السابع في اليوم السابع عشر منه على جبال أرات"^(١٦). وزعم آخرون أن الحبشة هي الموطن الأصلي، بينما ذهب (غريدي) إلى أن الحوض الأسفل لنهر الفرات هو ذلك المهد، واقتصرت طائفة على ربوع اليمن كمهد أصلي، في حين أن العدد الأكبر من هؤلاء قد نادى بنظرية (قلب شبه الجزيرة)، وفي عدادهم: سبرنجر وشراندر وده خويه، وبروكلمان وهوغو وينكلر الخ...

أما النظرية الأرمينية، فقد تداعت أوهامها، في حين أن الفرضيات الأخرى لا تخرج عن دائرة شبه جزيرة العرب، ما عدا الحبشة... وهنا بيت القصيد: هل نظلّ حبيسي الاجتهادات والآراء التي أبعدت بلاد الهلال الخصيب مع وادي النيل عن دائرة العالم اللغوي، حيث نشأ وتطور لسان أسلافنا الأولين، بمراحله المتعاقبة، قبل إيداع الكتابتين المسمارية والهيروغليفية، "لنلتقط براعمه" فيما بعد، في النقوش فالكتابات الرافدية والمصرية والشامية الخ... اعتباراً من مطلع الألف الثالث (ق.م)؟! وهكذا، فمادامنا نهج على منوال أولئك ونتبع خطاهم، بعزلنا عالم الهلال الخصيب ووادي النيل عن محيط شبه الجزيرة العربية، فلن نبغض ضاللتنا المنشودة ونظل ندور في حلقة مفرغة... فذلك النهج يحرم عربيتنا الفصحى، هذه الشجرة الراسخة الباسقة، من جذورها المتأصلة في شتى أصقاع وطننا العربي، وفي الواقع، فالخلل ليس قريب العهد/ طارئاً، بل أصلياً/ متأصلاً، في التراث العربي-الإسلامي.

لقد غاب الأمر عن بال أغلبية علمائنا السابقين، منذ فجر الإسلام وحتى عصر نهضتنا المعاصرة، لأسباب وأسباب منها جهلهم الفاضح بتاريخ حضارتنا العتيقة/الرائدة، في مظاهرها المختلفة: أخبارها، رواياتها، إرثها اللغوي الخ... ولجهلهم هذا أيضاً، أسباب ودوافع شتى: منها الموضوعي والذاتي، لا مجال لعرضها في عجالتنا هذه... ويدهشنا حقاً (ابن منظور، ١٢٣٢-١٣١١م) في "لسانه"، شارحاً مادة "كنع": "... وكنعان بن سام بن نوح، إليه ينسب الكنعانيون، وكانوا أمة يتكلمون بلغة تضارع العربية....".

وكما قالوا: "النادر لاحكم له...." وعلى أي حال، ألا يبدو عالمانا ابن منظور أكثر حداثةً، وحضوراً من الدكتور (لويس عوض) في قوله: "قالعرب إذن أمة حديثة نسبياً إذا قيست بما جاورها من الأمم. ونحن عادة نورخ للحضارات ببداية عصر التدوين واستعمل (هكذا) والصحيح استعمال) الأبجدية وبهذا المقياس يجب أن نبدأ تاريخ الحضارة العربية الشمالية والحضارة العربية في وسط شبه الجزيرة بما فيها الحجاز ببداية القرن الثاني (ق.م). أي بنحو ثمانمائة سنة قبل ظهور الإسلام. أما تاريخ الحضارة العربية الجنوبية (أي سبأ ومعين وقتبان). فيبدأ نحو ٨٠٠ ق.م... وأقدم نص عربي معروف ينتمي إلى عام ٣٢٨م (وهو النقش الذي ذكرناه

(١٦) كتلة بركانية بارتفاع (٥١٥٦ متراً)، تقع شرقي تركيا على الحدود بينها وبين إيران وجمهورية أرمينية.

أعلاه م.م). وهو شاهد قبر امرئ القيس بن عمرو....(12).

نحن لا نتنكر لأراء واجتهادات المرحوم لويس عوض، في العديد من مؤلفاته التي تناولت شتى جوانب المعرفة... رغم شعورنا بالغربة عنه في سنوات حياته الأخيرة، بما جاء في بعض مؤلفاته، وهاهو كتابه (مقدمة في فقه اللغة العربية)، خير شاهد على ذلك. نحن مع حرية الفكر، والعلم أخذ وعطاء؛ وليس بعقيدة.. وهذا أمرٌ لا جدال فيه.... ولكن كم كانت حيرتنا بالغة ودهشتنا كبيرة، بعد الانتهاء من مطالعة كتابه هذا. نحن لسنا بصدد دراسة نقدية للكتاب الحاي ومحتواه، ولما كان الدكتور عوض يقتلع اللغة العربية وأهلها من محيط الوطن العربي، ليقبهم في أحضان العالم القفقاسي/ الهندو-أوروبي، فلا بأس من لفت الانتباه إلى مايلي:

١- قلما نجد مصدراً أو مرجعاً أجنبياً للاجتهادات والمسلمات الاشتقاقية المقارنة، مع العلم بأن المؤلف يبحث في أصول اللغة العربية وأهلها، لينتهي به الأمر إلى ربط مصيرهم بالعالم القفقاسي/ الهندو-أوروبي. (من الفصل السادس وحتى الثاني عشر، ص.ص. ٢٢٩-٤٥٩).

٢- ماندر ذكره من مراجع تاريخية في الهوامش، ولاسيما في الصفحات (٢٨-٤٢-٤٥-٤٨-١٢٦) قديم وبال، ويعود بأغلبيته لعام ١٩٥٠، أو قبل ذلك، ولا يؤخذ به حالياً في الأوساط العلمية، وبخاصة بعد المكتشفات الأثرية والدراسات التاريخية/ اللغوية المقارنة، في العقود الثلاثة الأخيرة.

وإليك بعض ما جاء في سفرنا "العجيب" إضافةً للمقطع المذكور أعلاه:

(في الصفحة ٤٠) : "وقد انتهيت من أبحاثي في فقه اللغة العربية إلى أن اللغة العربية هي أحد فروع الشجرة التي خرجت منها اللغات الهندية- الأوروبية".

(في الصفحة ٥١) : "فالعرب إذن موجة متأخرة جداً من الموجات التي نزلت على شبه الجزيرة من القوقاز (القفقاس م.م) والمنطقة المحيطة ببحر قزوين (بحر الخزر م.م) والبحر الأسود نحو ١٠٠٠ ق.م أو قبيل ذلك... فنفذت إلى الفراغ الكبير في شبه الجزيرة من طريق بادية الشام حاملة معها لغتها القوقازية المتفرعة من المجموعة الهندية الأوروبية".

(في الصفحة ٥٨) : ".... فهذا التبويب وهذه المواجهة هما الخطوطان الأوليان نحو أية دراسة علمية لنشأة القبائل العربية وتطورها منذ ثبتت من مهدها القوقازي الأول حتى توحدت تحت لواء قريش....".

(في الصفحة ١١٨) : ".... وكل مسح اثنولوجي (سلالي م.م) لمصر والمصريين الناطقين بالعربية يوضح أنهم ينتمون أساساً إلى مجموعات اثنولوجية (سلالية) مختلفة عن المجموعة العربية، بالإضافة إلى اختلافهم السلالي عن العرب".

(في الصفحة ١٣٦) : "وهذا هو الافتراض الكبير الذي أسست عليه كتابي هذا، ألا وهو أن المجموعة السامية ونموذجها اللغة العربية، والمجموعة الحامية، ونموذجها اللغة المصرية القديمة، ليستا مجموعتين مستقلتين بذاتهما، وإنما هما فرعان أساسيان في تلك الشجرة السامية التي خرجت منها المجموعة الهندية الأوروبية".

هذا غيضٌ من فيض الكتاب "العتيق"... إنه وسواس "المركزية الأوروبية" الذي أصاب خلب الدكتور عوض في بعض مؤلفاته، في عداها هذا الكتاب: وقد عهدنا بعضه فيما مضى، في كتاب طه حسين

مستقبل الثقافة في مصر.

نقول: للخروج من المأزق الذي وقع -بل أوقع بعضنا- فيه لويس عوض، وكثيرون غيره، نرى أنه من المفيد استجلاء بعض غوامض المسألة:

١- هل كانت "العربية الفصحى" التي أدركناها في الشعر الجاهلي والقرآن الكريم، هي نفس لغة أسلافنا "العرب" الأولين، أولئك الذين راح ذكرهم يتردد في وثائقنا القديمة - ولاسيما الآشورية منها- (ملكيات العرب، جنديبو العربي الخ...) اعتباراً من القرن التاسع (ق.م)، علماً أننا نجد تلميحاً إليهم في نقش أكدي/ بابلي أكثر قدماً. وها هنا تعترض سبيلنا نظرية: "أزلية" اللغة العربية، التي أثارَت الجدل الأكبر في العصر العباسي، لينعكس ذلك كله في مواقف فلاسفة المعتزلة وآرائهم من جهة، وعلماء الكلام واجتهاداتهم من جهة أخرى، حول قضية "خلق القرآن أو قدمه". ونقرّ هنا للدكتور لويس عوض بجميل دراسته لبعض جوانب المسألة، وتبسيطها بسهولة بارعة، ودون بساطة، في الفصل الثاني من كتابه (مشكلة اللغة العربية ونظرية اللوجوس)^(١٧).

٢- ونأتى الآن إلى الفئة الثانية، التي رأت في شمال شبه الجزيرة، مجال تطوّر ونضج "العربية الفصحى" وبالغ بعضهم في الأمر، بحصر ذلك المجال بالحجاز بل بعالم قریش على وجه التحديد، وببضعة قرون فقط، بل قبل فجر الإسلام.

أما أن تكون العربية الفصحى، هي نفس لغة أسلافنا الأقدمين، في بعض بقاع وطننا العربي القديم، قبل الإسلام بعشرات القرون، كما يظن أصحاب الفريق الأول، فهو زعم مغاير لمنطق التطور التاريخي/ الاجتماعي، وتدحضه أيضاً آلاف الوثائق والنصوص المكتشفة في بلاد الرافدين والشام ووادي النيل، وشبه الجزيرة العربية، إضافة إلى النقوش القرطاجية/ الكنعانية^(١٨)، في شمال إفريقية وجزر الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط.

وأقرب اللهجات القديمة التي تبشّر بالعربية الفصحى هي الآرامية، التي راحت تعمّ الجزيرة السورية وباقي ربوع بلاد الشام (اعتباراً من القرن العاشر ق.م)، قبل أن تغلب على شتى لهجات الهلال الخصيب، بعد سقوط نينوى والسلطان الآشوري (٦١٢ ق.م)، ولتصبح لغة دولية LINGUA FRANCA (والشهيرة في المؤلفات العلمية الجامعية بالآرامية الامبراطورية -في العصر الفارسي الأخميني (٥٥٠-٣٣١ ق.م)) ثم راح يتفرّع، منها لهجات مختلفة: المنداعية، لهجة الترجوم^(١٩)، النبطية - التدمرية، الآرامية اليهودية الفلسطينية، السريانية، الآرامية التلمودية، الخ. (13)

وها هو نص آرامي، من القرن الثامن (ق.م) عُثِر عليه في زنجرلي (شمال)، مملكة آرامية تقع في ربوع سورية أصلاً ولكنها حالياً في البقاع المتاخمة للحدود السورية الشمالية الدولية - بعد سايكس بيكو

^(١٧) كلمة يونانية (LOGOS)، معنى "العقل الأول"، "كلمة الله" وهو الأتوم الثاني في الثالوث الأقدس المسيحي، إل غير ذلك من تعانني الفلسفية الأخرى.

^(١٨) رُأِطِل عليها البعض اسم الفينيقة/البونية وهي تسمية يونانية/لاتينية وفضل التسمية الكنعانية؛ التي ظلت شائعة حتى عصر الفندائس أرغسطيس (٣٥٤-٤٣٠)، أسقف عنابة الجزائرية.

^(١٩) التفسير الآرامي لبعض كتب التوراة، بدءاً من القرن الخامس (ق.م)، عندما راحت الآرامية تواحم لغات المنطقة لتغلبها فيما بعد.

وسلخ لواء اسكندرون، وماهو بعض ماجاء في النقش مع الترجمة العربية:

النص الآرامي:	انه	بر	ركب	بر	فنمو
الترجمة العربية:	أنا	ابن	ركب	ابن	فنمو
ملك	شمال	عبد	تجلتفليس	مرا	ربعي
ملك	شمال	عبد	تجلتفليس	سيد	الأربع
أرقا (وأحياناً أرا وأرصا)			بصدق	أبي	وبصدق
الأرض (جهات الأرض الأربع)			بصدق	أبي	وبصدق
هوشبني	مراي	ركبايل	ومراي	تجلتفليس	
أجلسني	سيدي	ركب ايل	وسيدي	تجلتفليس	
على كرسا (وأحياناً كسا)		أبي.. أنه	بنيت	بيتا	زنه
على	عرش	أبي أنا	بنيت	البيت	هذا.

كما ذكرنا، تاريخ هذا النص هو القرن الثامن (ق.م)، أي قبل عريبيتنا الفصحى بنحو أربعة عشر قرناً، ومع ذلك لا يخلو من مشابهات لعريبيتنا -إن كان في مفرداته أو في سياق جملته- وإليك بعض الشواهد:

- أنه (وأحياناً أنا) ضمير رفع منفصل، متكلم مفرد.
- بر (ابن) ولدينا في العربية فعل (بر بمعنى أطاع). والابن البرّ والبار. (المطيع لوالده والمحسن إليه).
- عبد (بمعنى تابع).
- مار (السيد) ولدينا أيضاً جذر (مر، أمر) وإضافة لمعانيه الأصلية، نقول: المرأة: قوة الخلق وشدته، أصالة العقل، ورجل مريد: قوي ذو عزم، والمريرة: عزة النفس الخ... وفي العامية (من السريانية) مار جرجس، مار الياس الخ... بمعنى (قدّيس، سيد).. ألا تتضمن مختلف هذه المدلولات معاني ذات صلة، قريبة أو بعيدة، بالكلمة الأصلية (مار/ السيد).
- ملك، شمال (دولة الشمال)، بصدق أبي وبصدق، عل (على)، كرسا (نقول كرسي العرش)، أنه (أنا) بنيت (الضمير المتصل التاء يأتي ساكناً في المتكلم المفرد، مؤنثاً ومذكراً)، وفي المخاطب المفرد المذكر نقول (بنيتّه أو بنيت) وفي المخاطب المفرد المؤنث نقول (بنيتي، بالياء)، ولدينا الكسرة عوضاً عن الياء... الخ.

ألا يدهشنا هذا التقارب بين نصنا هذا وعريبيتنا الفصحى. ولنأخذ مثلاً جملة (أنه بنيت بيتاً زنه= أنا بنيت البيت هذا)، والألف في (بيتاً) هي أل التعريف في الآرامية القديمة وانقلبت إلى (واو) في بعض اللهجات السريانية الغربية، وجميع الأسماء التي تنتهي بألف تدلّ عادة على اسم معرفة، منها بعض مانسمعه في بلادنا: (دوما، حرستا، فالوغا، حمّانا، جسر تورا، ببيلا، عقربا، مسرابا) الخ... وهي جميعها أسماء مفردة، ونلاحظ أن العرب المسلمين بعريبتهم الفصحى، تركوها على ماكانت عليه، فلم يقولوا: الدوما، الحرستا، الفالوغا، الحمّانا، الخ...

ولنأخذ نصاً أحدث من الأول، من (سفر دانيال) التوراتي، ويرجع إلى أواسط القرن الثاني ق.م، وليس

إلى أيام السبي البابلي (القرن السادس ق.م)، كما ظن بعضهم سابقاً.

النص الآرامي: نبوكد نصر ملكاً عبّذ صلّم أقيميه
الترجمة العربية: نبوخذ نصر الملك صنع تمثال أقامه

ببقة دورا بمدينة بابل

ببقة (في دورا) بأقليم بابل

- عبّذ: إضافة لمعناه الآرامي الأصلي (صنّع، عمَل) اكتسب لاحقاً مدلولات أخرى ومنها: (عبّذ، تابع، خادم)، كما أدركناها فيما بعد.

- صلّم (صنم، تمثال)، وفي العربية: صلّم و صلّم الشيء، قطعه من أصله، وكأن الصلّم الحجري مقطوع من الصخر.

- أقيميه (أقامه)، ببقة (في بقة، جمعها بقاع).

- بمدينة: في إقليم. وتفيد أيضاً في عربيتنا: المصر الجامع.

وعندما نقول (مكة: أم القرى) فنعني: أم المدائن، والقرية، هي المدينة بمعناها الشائع فيما بعد إن كان في الأرامية القديمة أو في العربية لاحقاً، وهذا جلي واضح في القرآن الكريم. أما القرية كما نفهمها حالياً فهي (كفر)، إن كان في الأرامية أو في عربيتنا الفصحى.

وجذر (كفر الكنعاني، وكفر الآرامي يفيد أصلاً معنى (ستر، غطى المعاصي والذنوب) ثم اكتسب مدلولات أخرى (غطى الأرض بالنبات) ومن هنا (كفرا = القرية) بالأرامية. وكذلك في عربيتنا، إضافة لمعناه الأصلي، اكتسب مدلولات جديدة وإلا فكيف نفسر مجاء في القرآن الكريم (سورة الحديد، ٢٠): "واعلموا إنما الحياة الدنيا لعبٌ ولهوٌ وزينةٌ وتفاخرٌ بينكم وتكاثرٌ في الأموال والأولاد كمثّل غيثٌ أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاً" وفي الآخرة عذابٌ شديدٌ ومغفرةٌ من الله ورضوانٌ وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور".

فالكفار هنا كما جاء في التفاسير هم الزُّرَّاع، وقد ذكرت معاجمنا القديمة في مادة (كفر) هذا المعنى وغيره من المعاني (ابن منظور، الفيروز آبادي الخ....) فالكافر أيضاً هو الرجل الذي ستر جسده بالدرع والسلاح كالكافر (الزارع) الذي يغطي ويستر البذور والحبوب بتراب الأرض الخ....

وإذا عرضنا للكتابات النبطية والتدمرية، قبل نهاية القرن الثالث م، التي سبقت تلك النقوش التي لمحتنا إليها أعلاه: (أم الجمال، النمارة الخ...)، وهي النقوش التي عُثِرَ عليها في شمال شبه الجزيرة العربية وفلسطين والأردن وسيناء وتوابعها وغيرها من أطراف بلاد الشام وباديتها، لاحظنا ازدياد أوجه الشبه بين شتى لهجاتها وبين عريية الشعر الجاهلي وصدر الإسلام.

لقد حسب البعض لهجات النقوش والكتابات التدمرية والنبطية آرامية صرفة وبقلم آرامي، بينما اعتبرها آخرون وبحق، تراكيب آرامية/ عربية، وبخط آرامي: تدمري أو نبطي، قد يتساءل بعضهم عن سبب مثابرتنا على مقارنة لهجات نصوص آرامية ببعض مانجده في لساننا العربي!... إنه لإستفسار وجيه ومشروع.

كما ذكرنا سالفاً، أضحت "الآرامية الامبراطورية" اللغة السائدة في مختلف أصقاع وطننا العربي القديم، في العصر الفارسي/ الأخميني (٥٥٠-٣٣١ ق.م)، بعد تغلبها على ماسبقها من لهجات شقيقة: اكدية / بابلية/ آشورية وكنعانية بل ومصرية، وذلك لأسباب عديدة، منها سهولة طريقة كتابتهم (المقتبسة أصلاً من أبجدية الساحل الكنعاني)، قبل أن يطوّر الآراميون فيما بعد، قلماً خاصاً بهم، كما سنرى لاحقاً، في الجزء الثاني من دراستنا الخاص بالكتابة، ويبدو دور الدويلات الآرامية ضئيلاً محدوداً في المجالين العسكري والسياسي، بالمقارنة مع سلطان الدول والامبراطوريات العظمى، التي احتلت مركز الصدارة في بلادنا، بوقائعها السياسية ومآثرها العسكرية من: اكدية/ بابلية/ آشورية ثم ميثانية وحثية ومقدونية الخ... ودون أن ننسى طبعاً عظمة الدولة المصرية ومشاهير فراعنتها... ومع ذلك، شاعت الأقدار أن يلعب الآراميون دوراً قومياً لا يُضاهى، في تاريخ أمّتنا، قبل الفجر العربي-الإسلامي وتحرير البلاد من الاحتلال الفارسي/ البيزنطي.. لقد صمدت الآرامية أمام لغات الدخلاء من فرسٍ وأغريق ورومان فبيزنطيين، وصانت الوحدة اللغوية لوطننا العربي، خلال اثني عشر قرناً تقريباً (من سقوط السلطان البابلي الحديث/ الكلداني عام ٥٣٩ ق.م وحتى عصر الفتوحات العربية الكبرى)... ولنا عودة إلى الإرث الثقافي هذا، في حديثنا عن الكتابة... مهدت الآرامية السبيل لعروبتنا الفصحى، شقيقتها والقريبة منها، كما لاحظنا من لهجة بعض فقرات آرامية قديمة، واللغة كظاهرة اجتماعية تؤثر وتتأثر بشتى الأسباب والعوامل، وتخضع كغيرها لسنة التطور، وعندما نجد لغة ما، تجابه غيرها من اللغات وتتغلب عليها، يجدر بنا حينئذ أن ننقصى الأمر للكشف عن الأسباب (سياسية، اقتصادية، دينية، اجتماعية، الخ...)، التي هيأت لها سبيل الرسوخ والغلبة.

وكما أن الآرامية تغلبت على ماسبقها من إرث لغوي محلي -مثلاً أسلفناه- وصمدت في وجه لغات الدخلاء، كذلك جاء دور العربية الفصحى، لتحل تدريجياً وتلقائياً محل شتى اللهجات الآرامية، دون صراع ومن غير أن تقضي عليها كلياً، واستغرقت تلك العملية وقتاً أطول مما يظنه البعض. وما اللهجات العامية - في مختلف ربوع وطننا العربي، بأصواتها المتنوعة ومفرداتها- ولا سيما في الأرياف- تلك المفردات التي لا نجد أثراً لها في معاجمنا العربية إضافةً لعدد من أسماء المدن والبلدات والقرى والمواقع، ليس هذا كله، إلا رجع أصداء آراميتنا تلك أو شقيقتها الكنعانية وغيرها من لهجات أسلافنا الأقدمين. وكما أن الآرامية استوعبت ماسبقها من لهجات واغتنت بمفرداتها، محققةً بذلك طفرة نوعية، مهدت لها سبيل النصر عليها، مؤلنا السالف: متى وكيف وأين تحققت "الطفرة النوعية" لعروبتنا الفصحى، وهل حصل ذلك محصوراً بزمان محدود ومكان معين، كما نادى بذلك أولئك الذين قَصَرُوا العملية، على محيط قریش وعلى فترة زمنية قصيرة، لا تزيد على بضعة قرون، قبل فجر الإسلام مخالفين بذلك مذهب "الأزليين" الذين يشترى، بمعتقد (قدّم القرآن/ اللوح المحفوظ/ قدّم اللغة العربية).

لا حاجة بنا إلى القول أنه يصعب علينا قبول مذهب "الأزليين" الذين جعلوا آدم يتكلم العربية في الجنة، بل نسبوا إليه شعراً حفظته العرب!!... وللمعري في "رسالة الغفران" أقوال وأقاويل في معرض ذلك.

أما نحن، فحسبنا أن نقول لهؤلاء... "والله أعلم..."

أما بالنسبة لأنصار الفريق الآخر "القرشي" فنرى أن فرضيتهم جديرة بالاهتمام، على أن يظل عالماً بالذهن جميع ما أوردناه أعلاه، لندخل عليها التعديلات الضرورية التي تقتضيها حركة التاريخ الصاعدة، وحتمية عملية التطور الاجتماعي/ اللغوي، ودون أن تغيب عن بالنا حصيلة الدراسات المقارنة المعاصرة

الخاصة بعلوم اللغة والكتابة والأنساب والآثار والتاريخ الاقتصادي والانثروبولوجية (الأناسة) الخ...

جاء في الروايات^(٢) أن العربية الفصحى لم تؤخذ إلا من قریش وقيس وتميم وأسد وهذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم... وعن هؤلاء نقل علماء اللغة وبهم اقتدوا وعليهم اتكلوا في الغريب وفي الإعراب والتصريف، وبالجمله فإنه لم يؤخذ عن حضري قط، (خوفاً من الدخيل م.م). ولا عن سكان البراري، من كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الذين حولهم، ولذلك لم يؤخذ من لخم لمجاورتهم الفرس، ولا من جذام لمجاورتهم الأنباط وقبط مصر ولا من قضاة وغسان لمجاورتهم أهل الشام ولا من تغلب، فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان ولا من بكر لمجاورتهم للروم والفرس، ولا من عبد القيس وأزد عُمَان، لأنهم كانوا مخالطين للبحرين المتأثرة بالهند والفرس، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة، ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة، ولا من تقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم ولا من حاضرة الحجاز (يثرب ١٤)، لأن الذين نقلوا العربية صادفهم حين راحوا ينقلون لغة العرب، قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم.

وجاء في الأخبار أيضاً، أنه كان على العرب أن يحدتوا موقفهم من قریش بوضوح، ولم تزل العرب تعرف لقریش فضلها عليهم، وسموها (أهل الله)، فرأوا أن قریشاً "كانت مع فصاحتها وحسن لغتها ورقة ألسنتها، إذا أتتهم الوفود من العرب، تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم، فاجتمع ماتخيروا من تلك اللغات إلى سلاتنهم التي طبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب..." (١٤).

ألا ترى أن ماجيء به في روايات كهذه، فيه كثير من التكلف ولا يعدو أن يكون وهماً.. ليس إلا.. وعلى كل، فهذا ليس هماً وأصل موضوعنا، ونترك الأمر لأهله من الباحثين في فقه اللغة العربية وغيرهم من علماء اللغة، ولكن لابد لنا من القول إن الآراء والاجتهادات قد تغايرت وتشعبت فيما يخص مظان كهذه، لتعكس المواقف والصراعات السياسية التي أطلت برأسها منذ "الفتنة الكبرى"، ولتتطور إلى شيع وأحزاب في العهدين الأموي والعباسي الأول، ثم إلى نشوء مذاهب ومدارس فكرية وفقهية مختلفة، عكست بشكل أو بآخر، ذلك الصراع السافر بين أنصار السيادة العربية من جهة، ودعاة مذهب المساواة في الإسلام من جهة أخرى، اعتماداً على ماجاء في التنزيل الحكيم: "يا أيها الناس، إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم..." ويضيف هؤلاء أيضاً، أن القرآن الكريم لم يذكر اسم قریش إلا مرة واحدة، فيرد عليهم أولئك بما جاء في الآيات "العربية": "... لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين الشعراء/١٩٥؛ "وهذا لسان عربي مبين، النحل/١٠٣؛ "وإنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون، يوسف/٢".

"وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً وصرفنا فيه من الوعيد، طه/١١٣".

"وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً، الزخرف/ ٣" وإلى غير ذلك من الآيات التي تشهر عروبة الخطاب القرآني، وبذلك الآيات، "العربية" يرد أيضاً غير القرشيين من العرب على أنصار "المدرسة القرشية".

ألا يمكن تلخيص الموضوع بالقول، إن من ظن أن العربية الفصحى هي لهجة قریش، قد تأثر من كون النبي من قریش وأن الوحي قد تجلّى في وسطهم، فهو إذن بلسانهم.. ولكن لو كان الأمر كذلك، لجاء التنزيل الحكيم بذلك صراحة، ولما رأينا ذكر "عروبة" القرآن غير مرة، دون أن يأتي على "قرشيتة" ولو مرة واحدة،

(٢) نقلاً عن (الزهر للسيوطي) مع بعض التصحيح الجغرافي (م.م).

التراث العربي

واحدة...، وعلى كل فاللهجات العربية اليمينية جميعها لهجات عربية صحيحة لا تختلف عن اللهجة الفصحى بأكثر مما تختلف فيه لهجتا تميم وقریش أو أسد وهذیل...." (17).

وإلى هذا المعنى أيضاً يذهب الدكتور مسعود بوبو: "ينبغي أن يستوقفنا قوله (أي السيوطي/ المزهر، م.م): إن العرب كان (ينشد بعضهم شعر بعض). أي أن لغة مشتركة فوق "مستوى" العامة من العرب كانت محل تداول في الإنشاد الأدبي، لغة فوق لهجات التخاطب، فوق لغة الحياة اليومية لدى القبائل الكثيرة، ولكنها مع ذلك كانت مفهومة عند عامة تلك القبائل، قاصيها عن قریش. ودانيها منها، ولهجات تلك القبائل على اختلافها لم تكن مستغلة متأببة على الفهم، بل كانت كلها -كما يقول ابن جني- حجة، والناطق بها- على قياس لغة من لغات العرب- مصيب غير مخطئ، مع الإقرار بوجود لهجة أفضل" (18).

كما ذكرنا أعلاه، في إشارتنا لبعض الرأي الذي عرضه الأستاذ الانطاكي، إنه شديد القرب إلى المنطق، أي ليس المنطق الشافي/ المقنع، في رأينا بالطبع، ومع أن الأستاذ الانطاكي، يُعتبر في كتابه "الوجيز في فقه اللغة" الصادر في عام ١٩٦٩، متقدماً على العديد من أقرانه، إن كان في دراسته لفقه اللهجات اليمينية وغيرها من اللهجات العربية القديمة (لحيانية، ثمودية، صفائية) بقلمها المسند؛ ومقابلتها باللهجة العربية الفصحى (قال "لهجة" دون أي تردد)، وغير ذلك من الاجتهادات، التي تدلّ على تبخره في علم اللغة، -وقد استفدنا من علمه كثيراً، رحمه الله- ومع ذلك، نرى أنه قد توقف في منتصف الطريق. - كغيره من السابقين واللاحقين -الذين حصروا مجال تطوّر العربية في عالم شبه الجزيرة، وقد تغافلوا عن سائر بلاد العرب. وها هنا نشعر بالميل إلى الدكتور جواد علي موضحاً: "والحق أقول: إنني إذا فكرت تفكير علماء العربية المحدثين، الذين نسبوا تفوق اللغات على اللهجات إلى السيادة السياسية والاقتصادية، وأمثال ذلك من سيادات، فإنني لن أفكر في موطن أينعت فيه العربية في تلك الأيام سوى بلاد الشام والعراق" (19).

في الحقيقة، نرى أن ماذهب إليه جواد علي بصدد مساهمة بلاد الشام والعراق، في تطوّر وارتقاء العربية، بالإضافة طبعاً إلى دور شبه الجزيرة العربية، بشتى لهجاتها الجنوبية والشمالية العتيقة، البائدة منها والباقية، وذلك منذ مطلع الألف الأول (ق.م). فقط، وليس أقدم من ذلك، كما توهم البعض، غافلين بذلك عن نتائج الدراسات المقارنة الخاصة بالكتابات اليمينية وشتى لهجاتها، تلك التي ساهمت، بلا أدنى شك، في تطوّر وإغناء عربيتنا، موضوع دراستنا، نقول إن ماوجدناه لدى جواد علي يترجم بعض مايدور في خلدنا.

ولقد أشرنا سابقاً إلى بضعة نقوش قديمة يرقى أقدمها إلى (عام ٢٥٠م) وأحدثها إلى (عام ٥٦٨م).

- أي قبل فجر الإسلام ببضعة عقود فقط- فلو أجرينا مقارنة بين لهجات تلك النقوش ولهجة نقشنا الآرامي (القرن الثامن ق.م)، أي أقدم من أحدثها بنحو ثلاثة عشر قرناً، لاستولت علينا الدهشة وعجبنا لقراءة لهجة نقشنا الآرامي العتيده، بمانجده في النقش الأحدث. - دون أن تغيب عن بالنا النقوش الأخرى الأكثر قدماً- مع محاكاة آرامية بعض فقرات النقش لهجتنا العربية الفصحى، وهاكم مقارنة النصين:

نقش عام ٥٦٨م: أنا شر	حبيل	بر	ظلمو	بنيت	ذا	المرطور
أنا شر	حبيل	بن	ظلمو	بنيت	هذا	المشهد (المرطور).
النقش الآرامي (القرن ٨ ق.م): أنه						
	بنيت	بيتا	زنه			
أنا	بنيت	البيت	هذا.			

لحظنا سابقاً - كلا فالأمر أكثر تعقيداً وشمولاً: ولا يمكننا أن نغفل عن دور اليمن والهجرات القحطانية الأثرية (كندة، المناذرة، الغساسنة الخ...) ولا عن لهجاتها القديمة، البائدة منها والباقية.. وهذا العالم الآرامي، في بلاد الشام والعراق بل وفي وادي النيل، الذي أفضنا في تفاصيله، بإرثه اللغوي العظيم، هل نخرجه من محيطنا الجغرافي/ اللغوي، حيث نشأت مختلف لهجات أسلافنا القدامى، منذ الأزل: من أكديّة/بابليّة/ آشورية إلى كنعانية وسبئية وحميرية وغيرها، لتصب فيما بعد في هذا الخزان الأعظم... وها هنا نقول: إن كل دراسة تعالج فقه لغتنا العربية وتطورها، تظل ناقصة مادامت تهمل بعض عوامل نشوئها وأركان ازدهارها على مرّ السنين والأيام، ومادامت تقلص مجال تفاعلها الجغرافي لتحصره في بقاع محدودة في قلب الجزيرة العربية.

وهذا هو مقتل علمائنا اللغويين، السابقين منهم واللاحقين/ المحدثين... فنظرة خاطفة لمفردات معاجمنا الكنعانية فالآرامية التي ورثتها، كافية لإدراك مغزى قولنا.. يزعم البعض أننا الورثاء الشرعيون لتلك الحضارات القديمة، وهذا صحيح؛ ويضيف فريق آخر أن أجدادنا العرب المسلمين لم يغزوا بلاداً غربية عنهم -في عصر الفتوحات الكبرى- بل حرّروها من نير الاحتلال الفارسي البيزنطي، وهذا أيضاً أمرٌ لا غبار عليه، ويتفاخر آخرون برسالة الإسلام السمحة وبشعار "لا إكراه في الدين" وهذه فكرة صائبة.. نعم كل هذا صحيح.. ولكن ألا يترتب على كل ذلك بعض النتائج والمواقف المغايرة لتلك التي أقرّها واتخذها بعض علمائنا السابقين، وما زال بعض اللاحقين/ المحدثين يسيرون على هديهم.. وإن كان لشيوخنا القدامى عذرهم، ألا وهو جهلهم، إرثنا اللغوي العتيق.. وعدم تمكنهم من معرفة تاريخ أسلافنا الأوائل، لأسباب ذاتية وموضوعية، مما أوقعهم في الفخ، وأحالمهم إلى ضحية سهلة لأوهام "الإسرائيليات"، إن كان هذا الأمر مفهوماً بل ومنطقياً بالنسبة للسابقين، فكيف نعلل المواقف الجامدة/ الخاملة لبعض أساتذة اللغة العربية وباحثيها اللغويين؟!.. وبم نبرّر إجماعهم عن ولوج عالم الدراسات اللغوية المقارنة، ولا سيما بعد اكتشاف هذا الكمّ العظيم -المتزايد من يوم لآخر- من كتاباتنا القديمة، بلهجاتها المتنوعة والقريبة. بشكل أو بآخر، بعضها من بعض، والشائعة حينذاك في مختلف ربوع الهلال الخصيب، والتي رفدت لهجتنا الآرامية في طورها الأول (من القرن التاسع وحتى الرابع ق.م) فأغنتها وأعلت شأنها، بعد اندماجها فيها، فأضحت -كما أسلفناه- هذا الدرع الواقي، الذي صان تراثنا اللغوي، خلال اثني عشر قرناً تقريباً، لتعهد إلى شقيقتها العربية به فيما بعد.. نكرر تساؤلنا عن أسباب ودوافع هذا الإهمال أو بالأحرى الاستخفاف بإرثنا/ الكنز اللغوي القديم؟!.. أهو عدم إلمام البعض بتلك اللغات العتيقة؟!.. أم التقاعس عن اقتحام مجاهل تاريخنا الأقدم؟!.. أم اعتزازهم بلغتنا العربية الفصحى وشعورهم بالاكتماء الذاتي وبما أورثنا إياه أجدادنا العرب الصرحاء من ديوان؟!.. قد يكون لجميع هذه العوامل والدوافع نصيبٌ من الصحة.. ولكن بعد هذا وذاك.. ماهو نصيب طيف التزمّت الذي يلوح في أفقنا، الفينة بعد الفينة؟!..

يلاحظ خريجو جامعات قطرنا، من أساتذة لغة عربية وتاريخ، هذه القرابة بين عربيتنا الفصحى وسائر لهجاتنا القديمة، إذ أنهم اطلعوا على بعض قواعدها وتكرّرت لديهم فكرة عامة عنها- لأن المنهج يقضي أن يدرسوا إحداهما-ولذلك يدركون أكثر من غيرهم مغزى قولنا وأسباب إصرارنا على إلقاء الضوء على مسألة القرابة تلك، -وكما قلنا- فنظرة خاطفة على معاجم تلك اللهجات- وعلى الخصوص الكنعانية والآرامية- لخبر شاهد على ذلك.. ومن هو أجدر منا بعرض هذا الموضوع، ونحن أصحاب هذا التراث الأثري... ألقينا المسؤولية على كاهل الآخرين: فمنهم من أدّى المهمة بأمانة، كما أن البعض الآخر أساء. وكما قيل: "ماحك جلدك مثل ظفرك".

كفانا نقاعساً وتزمتاً... فلقد أوزننا الأجداد "لساناً عربياً مبيناً" لن ندرك إعجازه في النثر والشعر، إلا بالموازنة بينه وبين نظرائه في لغات أجنبية أخرى، وهل من جاهل أحقق ينكر ذلك ويماري فيه؟... إذن فعربيتنا بخير ولكنها ليست على أحسن ما يُرام، لاسيّما في أسلوب دراستها وتدريسها، وإليك شهادة أحد أساتذتها، وسميناه (الدكتور عبد المنعم سيد عبد العال)، في قاموسه "معجم الألفاظ العامية ذات الحقيقة والاصول العربية"، حيث يقول: "من أهم المشاكل التربوية التي تصادفنا، أن يعيش أبناؤنا بين لغتين إحداهما خاصة بالمنزل والأخرى خاصة بالمدرسة، وأن نقول إن كلا منهما تختلف عن الأخرى، مع أن هذا الاختلاف لا وجود له أصلاً في إحداهما، وإنما هو وهم نسجه الزمن بسبب قصور الإدراك، وزاد في أثره تقصير المشتغلين بأمر اللغة العربية ووقوفهم عند حد القول بعامية لفظ وفصاحة آخر، لمجرد الكلام دون اعتماد على بحث لغوي سليم..." (21).

ويضيف قائلاً: "ونحن إذا ما تتبعنا لغة التخاطب الآن لنعلم نسبتها من العربية وجدناها نفس العربية، ولكن طراً عليها التحريف... ومما لا شك فيه أن الكثرة الكبرى من الألفاظ العامية، إما عربية قرشية صحيحة، وإما محرفة عنها تحريفاً قليلاً، وإما عربية من لهجات قبائل أخرى غير قريش أو محرفة عنها تحريفاً قليلاً..." (22).

ويقول أيضاً: "لقد طال الكلام في اللغة العربية وشأنها، وتمادى الزمن بالناس وهم يبدنون ويعيدون في عزلة العربية وقصورها، وضرورة رد الحياة إليها، وأهمية مساهمتها لحاجات الأمم التي ورثتها، دون أن يبدو لذلك كله أثرٌ يُذكر أو يتناسب مع السنين الطوال التي مضت على هذا الحديث الأجوف....." (23).

وبصدد سلامة النطق يقول: "ومن أهم الأمور اللازمة لدراسة اللهجات العربية الحديثة كتابتها علمية يسائر رسمها النطق الصحيح لهذه اللهجات في أقاليمها المختلفة، وفي مآكن بالعرض الذي يتوخاه علم الاصوات في العصر الحديث.

"والكتابة العربية بحالتها الراهنة قاصرة عن تصوير النطق الصحيح للهجات العربية الحديثة، لأن في هذه اللهجات سواكن وحركات لا يوجد لها في كتابتنا العربية نظير من الحروف ولا من علامات الشكل" (24).

وأيضاً: "في الكتابة العربية حتى الآن ثلاث علامات لثلاث حركات، هي الفتحة والضمة والكسرة، وهي غير كافية لكتابة نصوص اللهجات العربية الحديثة، ولذلك أضفت إليها خمس علامات مبتكرة..." (25).

نرى، تلخيصاً لما جاء في القسم الأول من دراستنا، أن نبرز أركان البحث التالية:

أولاً: التشابه الكبير بين مختلف لهجات أسلافنا القدامى، إن كان في بلاد الهلال الخصيب أو في الحوض الأدنى لنهر النيل أو في شبه الجزيرة العربية.

ثانياً: يمكن اعتبار اللهجات العتيقة: أكديّة/ بابليّة/ آشوريّة/ كنعانيّة، بمثابة العتبات الأولى في السلم اللغوي لوطننا العربي، ولا تشكل هذه اللهجات لغات قائمة بذاتها، لدرجة أن أمرها قد اختلط على العلماء الأجانب (المستشرقين)، فمثلاً بالنسبة للغات بلاد الرافدين: أكديّة/ بابليّة/ آشوريّة، نراهم يطلقون عليها في البدء اسم "الآشوريات" كما عهدناه سابقاً في جامعاتهم، ثم راحوا يقولون "الأكديات" وهي

التسمية الرائجة في أوساطهم حالياً، وفي الواقع، فلا هذه التسمية ولا تلك منطقية: إذ أن هذه التسميات لا تشير إلى عرق/ جنس محدد، بل تعود بنسبتها إلى مواقع أو مدن الخ... فالأكديّة، نسبة إلى أكد، عاصمة الامبراطورية الأكديّة والبابليّة نسبة إلى بابل الخ..

ثالثاً: التسمية السامية التي أطلقها شلوتسر في نهاية القرن الثامن عشر غير منطقية ومخالفة لأبسط الحقائق العلمية، وتلحق الأذى بقضايانا القومية. فالتسمية توراثية ومضللة، وهدفها الترويج للغة "عبرية" قديمة. مع العلم أنه لا توجد لغة عبرية قديمة، كما يتوهم البعض، والتوراة ذاتها تقول "شفة كنعان" أو "لسان يهودي" نسبة إلى سبط يهوذا. والتوراثية ليست سوى خليط كنعاني/ آرامي كما هو معروف أكاديمياً. ولم تظهر تسمية "لغة عبرية" إلا بعد السيد المسيح. فمن ظنّ على يهوديته نطق "بالعبرية" ومن تنصّر تكلم بالآرامية/ السريانية، (كتبّ انجيل متى بالآرامية/ السريانية في حين كتبت الأناجيل الثلاثة الأخرى باليونانية). وعوضاً عن "السامية" - هذا الخطأ الشائع - من الأفضل أن نقول "العربيّات العتيقة" (26)، لأسباب وجيهة، كما سنوضحه لاحقاً.

رابعاً: عدم حصر مجال نشوء وتطور اللهجات العربية القديمة في شبه الجزيرة العربية، بل التوسيع من حدوده ليشمل عالم الهلال الخصيب وادي النيل، حيث لعبت اللهجة الآرامية دورها الأكبر. في صيانة تراثنا اللغوي القديم، قبل البعثة النبوية، تلك الآرامية التي احتلت العتبات الوسطى في السلم اللغوي لوطننا العربي، خلال اثني عشر قرناً تقريباً، من القرن السادس (ق.م) وحتى صدر الإسلام، قبل أن تحلّ العربية الفصحى محلها، بعد أن شغلت آنذاك أعلى عتبات ذلك "السلم اللغوي".

خامساً: - جاء التنزيل الحكيم بلسان "عربي مبين"، ولم يأت بلهجة قريش، كما زعم البعض في روايات لاحقة. يقول الأستاذ سعيد الأفغاني في مقدمته لكتاب "هجرة القراءات" (27): "لم يكن كتبة الوحي الذين كان النبي صلى الله عليه وسلم يملئ عليهم كلما أوحى إليه شيء، من قبيلة واحدة، بل كانوا من قبائل عدة فيهم القرشي وغيره. وكان الناس - على اختلاف قبائلهم ولهجاتهم - في سعة من أمرهم في قراءة القرآن: كل يقرؤه بلحن قومه.. واندرجت هذه الوجوه الكثيرة في تعبير "الأحرف السبعة" الواردة في الحديث، وأريد بها التعدد والكثرة لا تحديد العدد سبعة" (28).

(26) قال البعض بـ "القراءات السبع" ولا ندري لماذا توقفتوا عند العدد (٧)، بينما جعلها فريق آخر أربع عشرة قراءة، فهل للعدد (٧) أضعافه سحر خاص. يقول الأستاذ سعيد الأفغاني في مدخل (حجّة القراءات، ص ٥٠): "ولكل إمام صاحب قراءة رواة كثيرون رروا عنه، ولكل راوٍ طرق متعددة، وأنا مثبت لك تراجم موجزة لأعلام القراءة بادناً بالقراء السبعة فيقبة العشرة فيقبة الأربعة عشر...". كما نلاحظ، (٧) قراءات وضعها، مع العلم بأن عدد القراءات قد يكون أكثر من ذلك، كما نرى من قوله: "ولكل إمام صاحب قراءة رواة كثيرون رروا عنه، ولكل راوٍ طرق متعددة...". والله أعلم... ألا يعني أن لكل قارئ أو راوٍ لمحت.

والمهم في الموضوع "قدسية" الرقم (٧) مع أضعافه. ففي الحقيقة، يتكرر ذكر الرقم (٧) منذ بدء التاريخ، ومن المؤكد أنه قديم بقديس، ونستشف سحره في روايات ومعتقدات القدماء، من مختلف الاقوام والأسم فقالوا بـ:

الركاب السبعة، السموات السبع، قدسيته، في قصة الخليفة وملحة جلعاش، طبقات أو أدوار الزيقورة (ومنها برج بابل) سبعة. وتظهر قدسية العدد (٧) (سفر التكوين، الأصحاح السابع، ٢-٤) فيعد أن يأمر الرب نوحاً وجميع أهله بدخول الفلك يقول له: "خذ من جميع البهائم الطاهرة سبعة سبعة ذكوراً وإناثاً ومن البهائم التي ليست طاهرة اثنين ذكراً وأنثى، وخذ أيضاً من طير السماء سبعة سبعة ذكوراً وإناثاً ليحيا نسليها على وجه الأرض، فإنني بعد سبعة أيام مطر على الأرض..." فكما رأينا: (٧)

سادساً: لا نظن أن لهجة قریش قد استوعبت كلياً شتى اللهجات، إن كان داخل شبه جزيرة العرب أو خارجها، كما أنها لم تتمكن من محوها بصورة مطلقة، ومن هنا تعدد اللهجات وتوابعها حتى اليوم، في شتى أقطار الوطن العربي. وفي الحقيقة، لا تشكل "تشويهاً" أو "انحطاطاً" للعربية كما يتوهم البعض، بل هي أسنة أصيلة لقبائل عربية، كما رأينا في حديثنا عن اللهجات (معجم الألفاظ العامية...) ودليلنا على ذلك، تعدد القراءات (٧-١٤ الخ...)، منذ القدم، إذن فعربيتنا الفصحى، التي أدرناها قبيل الإسلام وبعده، والتي تطورت وازدهرت، في العصرين الأموي والعباسي، لا تعكس فقط لسان قریش.

سابعاً: الصحيح والأقرب إلى منطق التطور الاجتماعي/ اللغوي أن نهجر التسمية "السامية" ونقول "بالعربيات العتيقة" فالعربية الفصحى. وكما من لغة ذاتة الصيت ولا يتوافر لها ما كان للعربية، من ديمومة زمنية واستمرار مكاني، ومع ذلك لم يحجموا عما نقترحه، أما اللهجات العربية العتيقة، فنعني بها لهجات الهلال الخصيب، حتى مطلع الألف الأول (ق.م). بالإضافة إلى اللهجات البائدة لشبه الجزيرة العربية. ونقصد بالعتيقة: الأرامية الأولى (ثم لهجاتها المختلفة بعد القرن الثاني ق.م). مع لهجات اليمن (٨٠٠ ق.م - ٥٠٠ م) في جنوب شبه الجزيرة العربية واللهجات الليمانية والثمودية والصفاوية، في وسط وشمال شبه الجزيرة وحتى جنوبي بلاد الشام (٥٠٠ ق.م - ٣٥٠ م) ثم العربية الحجازية الصريحة، من الشعر الجاهلي فما بعد.

للحيوانات الطاهرة (٢) لغز الطاهرة، والأسبوع سبعة أيام وآخرها مقدس. ويظهر العدد (٧) من جديد في قصة يوسف "سبع بقرات سمان وسبع بقرات عفاف، سبع سنابل دقاق الخ.. وكان لمدينة بابل (٧) أبواب. وقال الآشوريون (٧) أسوار تحيط العالم الآخر.

وقيل إن (زرداشت) رأى سبع رؤى أثناء عزله، قبل أن يعلن رسالته. ومن تعاليم (ماني) لاتباعه في فارس الصيام (٧) أيام في كل شهر. وعند اليونان: (٧) حكماء، (٧) عجائب العالم. وحكم روما (١٩.٧) ملوك (انظر كتابنا: تاريخ الرومان/ ١، ١٩٧٤، ص ١٧٨). ركن من مرة يزود العدد (٧) في الأناجيل وكذلك في القرآن الكريم. ومن أعيان العرب قبل الإسلام أن قبيلة (عباد) أُمِّلِكْت في "سبع" ليال... والمعلقات الشهيرة (٧) وعند العرب أيضاً: "الحمل" "السباعي"، وبيت الشيخ "السويح". ومن مناسك الحج: الطواف (٧) مرات حول الكعبة وتظهر قدسية العدد (٧) عند بعض الفرق والمذاهب في الإسلام: عند إسوان الصفا وعند الإسماعيليين (التوقف عند الإمام السابع اسماعيل). ومراتب التصوف هي (٧): التوبة، الورع، الزهد، الفقر، الصبر، التوكل، الرضا (سراج الطوسي، الجمع في التصوف). وقال أبو تمام في رده على المنجمين:

والعلم في شهب الأرماح لامعة بين الخمسين لا في السبعة الشهب

والأقاليم المعمورة في معصرات الجغرافيين الغرب هي سبعة وكذلك الرحلات "السبع الشهيرة" للسندباد، وهل من تفسير لقدسية هذا العدد وغيره من الأعداد، كالعدد (٣) والعدد (٥) الخ... ويرمز العدد (٣) إلى تفسير عدة: الحياة/ الموت/ البحث/ النساء/ الأرض/ الإنسان الخ... أما العدد (٥)، فنلاحظ سحره منذ عشرات آلاف السنين، في المغاور والكهوف أو بالأحرى في رسوم جدرانها، حيث نشاهد حيوانات تلك العصور، علوة الإنسان وفريسته، وقد أحيطت بأيدٍ بشرية، وكأنها تحاول القبض على الحيوان. أم يقولوا افترق الإنسان عن الحيوان بعمل يده، الذي تفاعل جديلاً مع دماغه، وبذلك كان تطوره وارتقاه، وهكذا اكتسبت اليد تلك القدرة السحرية: ومازلنا نلمس آثارها ورموزها في ماثورتنا الشعبي: "خمس يمين العدو، وشكل اليد المغنوسة في دم الفضيحة على باب مسكن جديد، وهذه اليد في وسطها "عين الحسود" يمزقها سهم، الخ... أما بالنسبة للعدد (٧) وقدسية الغريبة بانتشارها وديمومتها، فترى أنها ترمز إلى اليد السحرية (٥) يُضَاف إليها الرقم (٢)، كرمز للحياة/ الموت أو النساء/ الأرض أو الذكر/ الأنثى الخ... هذا احتياط ليس إلا... والله أعلم....

قد يستغرب البعض اقتراحنا الجديد هذا، وعلى كل فـ "الجديد غريب". أما بالنسبة لنا، فليس بجديد ولا غريب، فمنذ نحو ربع قرن، قلنا في المقدمة التاريخية لكتابنا (المدخل إلى اللغة الآرامية) منذ عام ١٩٧٠، إن التسمية "السامية" خاطئة وعلى "الباحثين وذوي الاختصاص العرب أن يطرحوا الموضوع على بساط البحث ويتداولوا الآراء، ليخلصوا إلى تسمية أخرى أقرب إلى منطق الأمور، الخ..." وها نحن مانزال نتنظر....

ب- الكتابة:

١- من الصورة إلى المقطع الصوتي:

تعتبر الكتابة العربية حصيلة تطورٍ مديد ومستمر، انطلاقاً من الكتابة المسمارية المقطعية الرافدية^(١) (نحو ٣٥٠٠ ق.م) والهيروغليفية السورية المصرية^(٢) التي ظهرت مع المسمارية، في منتصف الألف الرابع (ق.م) ومروراً بالكتابة المسمارية الأبجدية^(٣)، في دولة أجرت (رأس شمرة شمالي اللاذقية، وقالوا أيضاً أوغاريت). نحو (١٥٠٠ ق.م)، فانتهاؤاً بالأبجدية الكنعانية المتطورة (التي أطلق عليها الإغريق اسم "الفينيقية")، حوالي القرن الحادي عشر (ق.م).

وعندما أفلح الكنعانيون "الفينيقيون" في تجريد الصور الهيروغليفية المصرية والمقاطع المسمارية الرافدية وأبدعوا رموزاً، كلٌ منها يمثل "وحدة صوتية" أي حرفاً (فونم phonem)، تكون البشرية قد قطعت بذلك مرحلة، بالغة التعقيد، وبلغت شأواً عظيماً، كانت له نتائج حاسمة، مازال يُشار إليها بالبنان، نتائج عادت بالنفع الكبير والخير العميم على مختلف بني البشر، في مختلف أصقاعهم وأمصارهم^(٤).

^(١) يرى العلماء المختصون أن أول من استعمل الكتابة في بلاد الرافدين هم السومريون وعندهم الأكاديون / البابليون فالآشوريون (انظر الجدول رقم ١) "شجرة السن الوطن العربي القديم"، (الرقم ١)، كانت الكتابة المسمارية في أول عهدها، كالهيرغليفية المصرية، صورية، أي أن كل صورة تمثل كلمة وتعني الشيء ذاته كصورة "بيت للبيت والشجرة للشجرة و الشمس للشمس الخ...."، وهذه المرحلة "الكتابة الصورية" ثم راحوا يستعملون هذه الأشكال للتعبير عن بعض المعاني، وهي الكتابة "الفكرية"، فمثلاً الشجرة إضافة لمعناها الأصلي أخذت تعني "الحياة والربيع والخلود الخ...." والشمس تعني الكوكب ثم راحت تعني "الضوء والحرارة والنهار، الخ...." وقالوا: "مسمارية" لأن أشكالها تطورت من الصور إلى رسوم مبسطة تشبه المسامير، بأشكالها المختلفة. ونقول أحياناً "سفينية" ثم تطورت الأمر وأصبحت هذه الأشكال المبسطة تدل على أصوات معينة، على شكل مقاطع صوتية، أي أن الكلمة لا تكتب أبجدياً، كما نعرفها حالياً، بل على شكل مقاطع، ويمكننا أن نشبهها أحياناً، بما نجده حالياً في اللغات الصينية واليابانية والكورية الخ.... وكان عدد المقاطع المسمارية في أول الأمر محدود (٧٠٠ مقطع) وقد تقلص تدريجياً ليصل في الآشورية الحديثة إلى (٧٥٠ مقطعاً) تقريباً.

^(٢) ظلت الكتابة الهيروغليفية محافظة على شكلها الصوري، علماً أنه قد تفرّع عنها كتابة موازية مختزلة أكثر ليونة وهي "الهيروغليفية المقدسة" وأخرى شعبية وهي "الدعوتيقية".

^(٣) ضمت الكتابة المسمارية الأبجدية الأوغاريتية (جدول رقم ١، ١٥) (٢٩ حرفاً) وهي قريبة جداً من حروفنا العربية ولكن شكلها مسماري، أي أن الشكل لا يمثل مقطعاً، بل حرفاً قائماً بذاته، على شكل مسار (سفين).

^(٤) من أقدم النقوش المعروفة -حتى الآن- بالأبجدية الكنعانية، الفينيقية، "نقش تابوت حيرام" ملك جبيل، ويعود إلى نهاية القرن الحادي عشر (ق.م).

نحن لا نرغب في مناقشة مختلف النظريات والآراء المتعلقة بنشوء أول قلم أبجدي، وأيهما كان له التأثير الأكبر في هذا المجال: وادي النيل أم بلاد الرافدين، فهذا ليس مجال بحثنا بالذات، علماً أن بعضهم أعطى كتابات جزيرة كريت (الألفان الثالث والثاني ق.م)، دوراً في نشوء الأبجدية الكنعانية، لقد اكتفينا بإيراد جدول لإيضاح "النظرية السينائية" (****) التي تعكس بشكل أو بآخر مكانة الكتابة المصرية الهيروغليفية، ولا سيما في نهاية عصر الملكية الوسطى (٢٠٥٢-١٧٧٠ ق.م) عندما راح المصريون يستعملون "أربعين صورة" من صور كتابتهم كرموز لقيم صوتية "وحدات هجائية". ولكن الكتابة هي سبيل إلى المعرفة، ويبدو أن الطبقة الحاكمة الفرعونية المحافظة، في مصر القديمة، لم تشجع على الانتقال إلى الخطوة التالية، أي جعل هذه الرموز الهجائية حروف هجاء، دون اللجوء إلى صور أخرى في كتابة الكلمات؛ فظلت الكتابة المصرية "الهيروغليفية" مزيجاً معقداً من صور ورموز وحروف هجاء، وبذلك ظلت امتيازاً لفئة من الكتبة المختارين، الذين يدرسون في البلاط الملكي، قبل أن ينخرطوا في سلك الجهاز الإداري، لمختلف دواوين الدولة^(١).

٢- من المقطع الصوتي الصوري إلى الحرف الأبجدي الكنعاني (الفينيقي):

يعود الفضل في إبداع الأبجدية للكنعانيين^(٢)، الذين خطوا الخطوة الحاسمة انطلاقاً من مبدأ الأكروفونيا^(٣)، فاتخذوا الرموز الصورية وأعطوها قيماً صوتية تلائم الأصوات الهجائية في لسانهم، فاتخذوا مثلاً الرمز الذي يشير إلى "البيت" وسموه "بت" وأصبحت صورة البيت لا تمثل ولا تلفظ "بيت" بل الصوت الهجائي الأول في الكلمة وهو حرف "ب" وصورة العين لا تمثلها، بل تمثل الوحدة الصوتية "ع" و"اليود" لا تمثل "اليد" رمزاً ولفظاً، بل الحرف الأول "ي" وهكذا دواليك.... وتكونت هكذا الأبجدية الكنعانية "الفينيقية" وعدد حروفها (٢٢) حرفاً بترتيب:

أبجد - هوز - حطي - كلمن - سغفص - قرشت.

وكان كنعانيو ("أجرت - أوغاريت" رأس شمرة) قد سبقوا أبناء عموماتهم الجنوبيين، فجرّدوا المقاطع الصوتية المسمارية، لبلاد الرافدين، بطريقة شبيهة بأبجدية جليل، ولكن سقوط العاصمة الشمالية للعالم الكنعاني، في نهاية القرن الثالث عشر (ق.م) على يد شعوب البحر، أوقف عملية تطوّر كتابة الأبجدية المسمارية الشمالية لمدينة "أجرت".

(****) انظر الملحق (رقم ٧) في آخر البحث مع الملاحق الأخرى.

(١) ظلت الكتابة في مصر الفرعونية حكراً على الطبقة الحاكمة وعلى أتباعها من الكهنة والكتبة وأحاطوا أصولها بالسرية، وتحتوي الكلمتان "هيروغليفية"، و"هيروغليفية" جذراً يفيد القدسية "هيروس" والمصري الذي يكون قد ارتفع إلى مرتبة "كاتب" ليُدخل في خدمة البلاط الملكي، ينال فوائد عظيمة ويصبح من المجلين في المجتمع.

(٢) كما ذكرنا، أطلق الإغريق (اعتباراً من القرن التاسع ق.م - في الأوديسية - تلك الملحمة النسوبة إلى هوميروس مع الإلياذة). اسم "فينيقيين" على بعض الكنعانيين من سكان الساحل الشامي (صيدون، صور، الخ....) علماً أن التسمية غير واردة في كتاباتنا القديمة، بل نجد دائماً التسمية الكنعانية، ثم انتشر هذا الخطأ الشائع في الأدبيات اليونانية واللاتينية فيما بعد.

(٣) كلمة يونانية مركبة. بمعنى "الصوت الهجائي الأول في كلمة ما: فصورة "كف" مثلاً لا تلفظ "كف" بل الصوت الهجائي الأول في الكلمة وهو حرف (ك)، وصورة "رأس" لا تمثل وتلفظ "ريش" بل الحرف الأول في الكلمة وهو "ر". ومن المعروف أنه لكل حرف أبجدي مدلول يشير إلى رمز صوتي.

التراجم العربي

وبمقارنة سريعة لحروف أبجدية جبيل المتطورة بما يقابلها في الأبجدية الشمالية المسمارية "الاجريتيية"، نلاحظ الشوط الكبير الذي حققته أبجدية جبيل الجنوبية:

(انظر الجدول المقارن في الصفحة التالية).

عربي	اللفظ اللغوي	أبجدية اجريت	أبجدية جبيل	الأبجدية النيرانية	الأبجدية الميريشية
أ	ألف (رأس ثور)	𐎠	𐎡	Aa Aα	
ب	بيت (بيت)	𐎡	𐎢	Bb Bβ	
ج	جيتل (جمل)	𐎢	𐎣	Gg Γγ	
د	دالت (باب)	𐎣	𐎤	Dd Δδ	
هـ	هيت (شعلة)	𐎤	𐎥	Ee Eε	
و	واو (وتر)	𐎥	𐎦		
ز	زيت (سلاح)	𐎦	𐎧	Zz Zζ	
ح	حيط (حائط)	𐎧	𐎨		
ط	طيت (أضواء تعاليم)	𐎨	𐎩		
ي	يوت (يد)	𐎩	𐎪	Ii Iι	
ك	كفت (كف)	𐎪	𐎫	Kk Kκ	
ل	لئت (عضو)	𐎫	𐎬	Ll Λλ	
م	ميت (مياه)	𐎬	𐎭	Mm Mμ	
ن	نوت (سمك)	𐎭	𐎮	Nn Nν	
س	سأتخ (مشتد)	𐎮	𐎯	Ss Σσ	
ع	عيت (عيت)	𐎯	𐎰		
ف	فيت (ضم)	𐎰	𐎱	Ff φφ	
ص	صوات (نظام للصيد)	𐎱	𐎲		
ق	قوت (تخف، نقية)	𐎲	𐎳	Qq Q (حرف ممتد)	
ر	ريت (رأس)	𐎳	𐎴	Rr Pρ	
س/ش	س/ش (س/ش)	𐎴	𐎵		
ت	تات (إشارة علامة)	𐎵	𐎶	Tt Tτ	X+

وماكم بعض الملاحظات بالنسبة للجدول أعلاه:

أولاً: من الواضح أن أبجدية جبيل هي أقرب من أبجدية "أجرت" - أو غاريت" إلى مفهوم الكتابة السريعة كما عهدناها فيما بعد.

ثانياً: قلنا أن أبجدية "أجرت" المسمارية ضمت (٢٩ حرفاً) ولم نذكر منها سوى (٢٢ حرفاً)، كما هي واردة في أبجدية جبيل، وفي الحقيقة، نطق أهل جبيل وغيرهم من كنعانيين عصرهم وكذلك أولئك الذين نقلوا عن هؤلاء الأبجدية، كالآراميين والاسرائيليين القدماء والمؤابيين بعض الحروف بطريقتين. فمثلاً حرف "ج" لفظوه كما نعرفه في العربية وأحياناً نطقوه "غ"، وحرف "د" هو "ذ" أو "ذ" وحرف "ك" هو "ك" أو "خ" وحرف "ت" هو "ت" أو "ث" الخ...

وهذه الحروف الملفوظة بطريقتين موجودة في أبجدية، "أجرت".

ثالثاً: لا نجد حرف "ض" لا في أبجدية "أجرت" (*) ولا في "جبيل". وعندما نقول "أبجدية جبيل"، فهذا لا يعني مطلقاً، أنها خاصة بمدينة جبيل، ولأننا عثرنا على أقدم نقش في جبيل، أطلقنا اسم المدينة عليها. وفي الواقع، انتشر استعمال هذه الأبجدية في مختلف أنحاء بلاد الشام. أما حرف "ض" فنجدته في شتى ألسن الجزيرة العربية، في اللهجات اليمنية المختلفة، وفي لهجات الجزيرة العربية الشمالية (انظر الجدول رقم (١)، في الفرعين ٤ أ - ٤ ب) وكذلك صفحة - (الجدول رقم ٢).

رابعاً: عن أبجدية جبيل، أخذ الإغريق خطهم وكذلك الكتابة اللاتينية تكونت انطلاقاً من اليونانية والأتروسكية ذات المنبت المشرقي. ومن المدهش أن بعض الحروف اللاتينية وقبلها اليونانية حافظت على أسماء حروف أبجدية جبيل وأحياناً على نفس الترتيب والشكل. فمثلاً حرف "𐤀" في جبيل أصبح "ألفاً" في اليونانية وهو "A" وحرف "𐤁" هو "بتا" اليوناني وشكله "B" أي بتحويله من اليمين إلى اليسار. وحرف "𐤂" هو "𐤃" دلنا في اليونانية وحرف "𐤄" هو حرف "K" كبا في اليونانية مع تحويل اتجاهه، حرف "𐤅" أصبح "L" لمدا في اليونانية، حرف "𐤆" أصبح "M" أي قلبه إلى الأعلى M... مع قطع أحد ضلعيه وكذلك حرف "𐤇" قلبه إلى الأعلى مع قطع الضلع، الخ... وجدير بالذكر أن ترتيب هذه الحروف هو واحد في مختلف الأبجديات المذكورة أعلاه:

جبيل (ك ل م ن) - العربية (ك ل م ن) - اليونانية واللاتينية (K, L, M, N) والأصل كما هو معروف في أبجدية جبيل.

3- من الأبجدية الكنعانية إلى الكتابات الآرامية:

نقل الآراميون قلمهم عن معاصريهم الساحليين، الكنعانيين "الفينيقيين"، وبه كتبوا نصوصهم الأولى، وكتابة ولغة تلك النصوص (من القرن العاشر إلى القرن السابع ق.م) تشبهان، وإلى درجة كبيرة، محتويات

(*) هذا ما تقرره حتى يومنا هذا المراجع الأكاديمية، وهو الأمر المتعارف عليه - حتى الآن - لدى ذوي الاختصاص، مع العلم بأنه تم العثور، في السنوات الأخيرة، على نقش جديد في أوغاريت - كما قلنا سابقاً - قد يفيد بعكس ذلك. ولما تحسّم المسألة.

*** التراث العربي ***

النصوص الكنعانية المعاصرة لها. ولا شك في أن الآراميين الذين نقلوا عن جيرانهم الكنعانيين "الفينيقيين" قلمهم، راحوا يطوّرون بدءاً من القرن السادس (ق.م) كتابة خاصة بهم، قبل أن يتفرّع منها، منذ القرن الثالث (ق.م) كتابات آرامية محلية، في مختلف أصقاع المشرق العربي.

إن كان آراميو بلاد الشام قد استعملوا الأبجدية الكنعانية "الفينيقية" في بادئ الأمر، فإن آراميي بلاد الرافدين قد اقتبسوا قلمهم الأول من الكتابة المسمارية الرافدية، قبل أن تتطوّر لدى الطرفين كتابة آرامية موحّدة في مختلف الدويلات الآرامية.

اشتهر الآراميون بتجارّتهم النشطة داخلياً وخارجياً، وكما أن أقرباءهم الكنعانيين قد ذاع صيتهم في مجال التجارة البحرية، ونقلوا السلع المستوردة ومنتجاتهم إلى مختلف أرجاء البحر الأبيض المتوسط، فإن الآراميين اشتهروا بتجارّتهم البريّة وأصبحوا المتحكّمين بالقوافل التجارية بين الساحل الكنعاني وبلاد الرافدين وفارس والأناضول، وكما انتقلت لغة الكنعانيين، وكتابتهم مع تجارّتهم غرباً، فكذلك انتشرت لغة الآراميين وكتابتهم شرقاً مع قوافلهم التجارية، وساهمت في تكوين بعض كتابات فارس والهند وآسية الصغرى والقفقاس، بالإضافة طبعاً إلى كتاباتنا الآرامية المحلية: تدمرية، نبطية الخ... وكما أسلفناه، لم يستمر نفوذ الآراميين السياسي، في بلاد الشام وشمال بلاد الرافدين إلا لفترة محدودة (من القرن العاشر وحتى القرن السادس ق.م). ويبدو ضئيلاً، إذا ما قارناه بتاريخ مختلف الأقسام والدول التي سبقتهم أو عاصرتهم، ولكن دورهم الثقافي، ولاسيما في حقلي اللغة والكتابة، كان أساسياً ومذهلاً في تراث مشرقنا العربي القديم، في العصرين الفارسي - الأخميني والهلنستي الروماني، (كما جاء سابقاً في بحث اللغة).

ففي العصر الفارسي - الأخميني، أصبحت الآرامية لغة دبلوماسية دولية وكانت لغة الإدارة والحكم مع الفارسية، في مختلف أرجاء الامبراطورية الفارسية - الأخمينية، اعتباراً من القرن السادس (ق.م) وحتى الربع الأخير للقرن الرابع (ق.م)، وتلك هي "الآرامية الامبراطورية".

وعندما انهارت الامبراطورية الفارسية - الأخمينية، تحت ضربات الاسكندر المقدوني (٣٣١ ق.م)، فقدت الآرامية السند الذي جعلها لغة رسمية موحّدة، ذات لهجة متماسكة في مختلف ولايات الامبراطورية وراحت تفقد نقاوتها نسبياً، وانكمشت قليلاً أمام اللغة اليونانية، ولاسيما في ميادين الحكم والإدارة، وراحت تتكون عدة لهجات وكتابات آرامية محلية، مشتقة من الآرامية الأم، ويمكننا بدءاً من القرن الأول (ق.م) تصنيف مختلف اللهجات والكتابات الآرامية في بلاد الشام والرافدين كالأتي، ضمن مجموعتين أساسيتين: الشرقية والغربية^(١)، وسيكون لبعض كتابات هاتين المجموعتين دور في نشوء الكتابة العربية الحجازية، منذ القرن الرابع للميلاد (28).

وتضم المجموعة الشرقية:

أ- السريانية : بفرعيها النسطوري واليعقوبي، عندما اعتنق آراميو بلاد الشام والرافدين المسيحية، صاروا يُعرفون باسم "السريان" بدءاً من القرن الثاني للميلاد.

^(١) انظر الجدول (١) شجرة السن الوطن العربي القديم (رقم ٨٠٧، ٦).

ب- لهجة تلمود بابل: وقلمها هو الآرامي المرتب.

ج- المندائية : في جنوب العراق، والمنداعيون هم "أهل المعرفة"، وعرفوا في العصر الإسلامي الأول باسم (الصابئة).

د- الحرّانية : نسبة إلى مدينة حرّان، شمالي بلاد الرافدين، وعُرفت في المصادر الكلاسيكية اليونانية واللاتينية باسم Hellenpolis "مدينة الهلنّيين". ظلّوا على وثنيّتهم في العصر المسيحي الأول، وكانت المدينة في العصر العباسي - ولاسيّما في عهد المأمون - مركز إشعاع علمي وفلسفي.

وتشتمل المجموعة الغربية على :

أ- الآرامية الفلسطينية: وتحوي كتابات "تلمود أورشليم"^(١) وبعض الكتابات المسيحية الأولى، من أناجيل وغيرها.

ب- النبطية : وهي كتابات الأباط، وبالنسبة لموضوعنا تطوّر القلم النبطي، من القرن الثالث للميلاد وحتى نهاية القرن الرابع، وكان له دورٌ، مع الكتابة السريانية، في ميلاد الخط العربي الحجازي.

ج- التدمرية : وتمثّل نقوش دولة تدمر (٣٣ ق.م - ٢٧٢ م) في مختلف أنحاء بلاد الشام والرافدين وفارس وحيث تواجد الجنود والتجار التدمريون.

4- الكتابة العربية الحجازية بين الأقلام الآرامية والخطّ المُسنَد:

من المعلوم، أنه قد ازدهرت، منذ نهاية الألف الثاني (ق.م) حضارة عربية قديمة، في جنوبي شبه الجزيرة العربية، ولقد طوّرت أقوامها كتابات قديمة، قريبة بعضها من بعض، ويُطلق على قلم تلك الكتابات اسم "الخط المُسنَد"، وهو أقدم الخطوط المعروفة - حتى الآن - في شبه الجزيرة العربية، ويسميه البعض بالخط "الحميري"، إذ إن الحميريين هم آخر من كتب به، علماً أنه قد سبقهم إليه في إيداعه وتطويره، أقوام عربية أخرى، من سبئيين ومعينيين وكتبانين وغيرهم^(٢).

ونقرأ كتابات "المسند/ الحميري" من اليمين إلى اليسار - كما هو مألوف في الكتابات الكنعانية والآرامية والعربية، كما أننا نقرؤه أحياناً، من اليسار إلى اليمين، على طريقة الكتابات اليونانية واللاتينية والكتابات المتفرعة عن هذه أو تلك.

ومنذ نهاية القرن الماضي وحتى يومنا هذا، يزداد عدد النقوش المكتشفة في أواسط شبه الجزيرة العربية وشمالها، وفي شرقي الأردن وفي حوران، مكتشفات أزاحت النقاب عن ثلاث مجموعات متشابهة من النقوش المنقورة في الصخر، كتاباتها شديدة الصلة بقلم النقوش العربية اليمينية القديمة؛ والجدير بالذكر، قرابة

(١) تعني كلمة تلمود "تعليم"، ويتضمن التلمود الشرائع التي وضعها أحرار اليهود لتفسير أسفار التوراة، ويجد فيه أيضاً اجتهاداتهم غير المعصومة، ولدينا تلمودان "البابلي والأورشليمي أو الطبراني"، والأول أكثر تكاملاً من الثاني.

(٢) انظر الجدول (رقم ١) شجرة السن "ب".

ويقول (ناجي زين الدين): حول أصول الخط العربي وتسميته بالجزم: "لأن الخط الكوفي كان أولاً يسمى "الجزم"، قبل وجود الكوفة لأنه جُزِم أي اقتطع وولد من المسند الحميري ومرامر وهو الذي اقتطعه ولعله وضع صورته.. والخط الكوفي قديم الوضع، وضعه سيدنا اسماعيل... ومما يدعم هذه الأقوال في الجزم مطابقة عدد حروفه للكاملة لما جاء في الحديث النبوي المروي عن أبي ذر الغفاري، قول النبي: "يا أبا ذر، والذي بعثني بالحق نبياً ما أنزل الله تعالى على آدم إلا تسعة وعشرين حرفاً..." (32).

ولقد اعتبروا الحرف للتاسع والعشرين "لا".

نلاحظ أن روايات الأخباريين العرب تتضافر على أن الكتابة كانت شائعة بين عرب الحيرة قبيل الإسلام وأن بعض الحجازيين عرفوا تلك الكتابة وتعلموها قبل أن يعلموها في ديارهم فيما بعد.

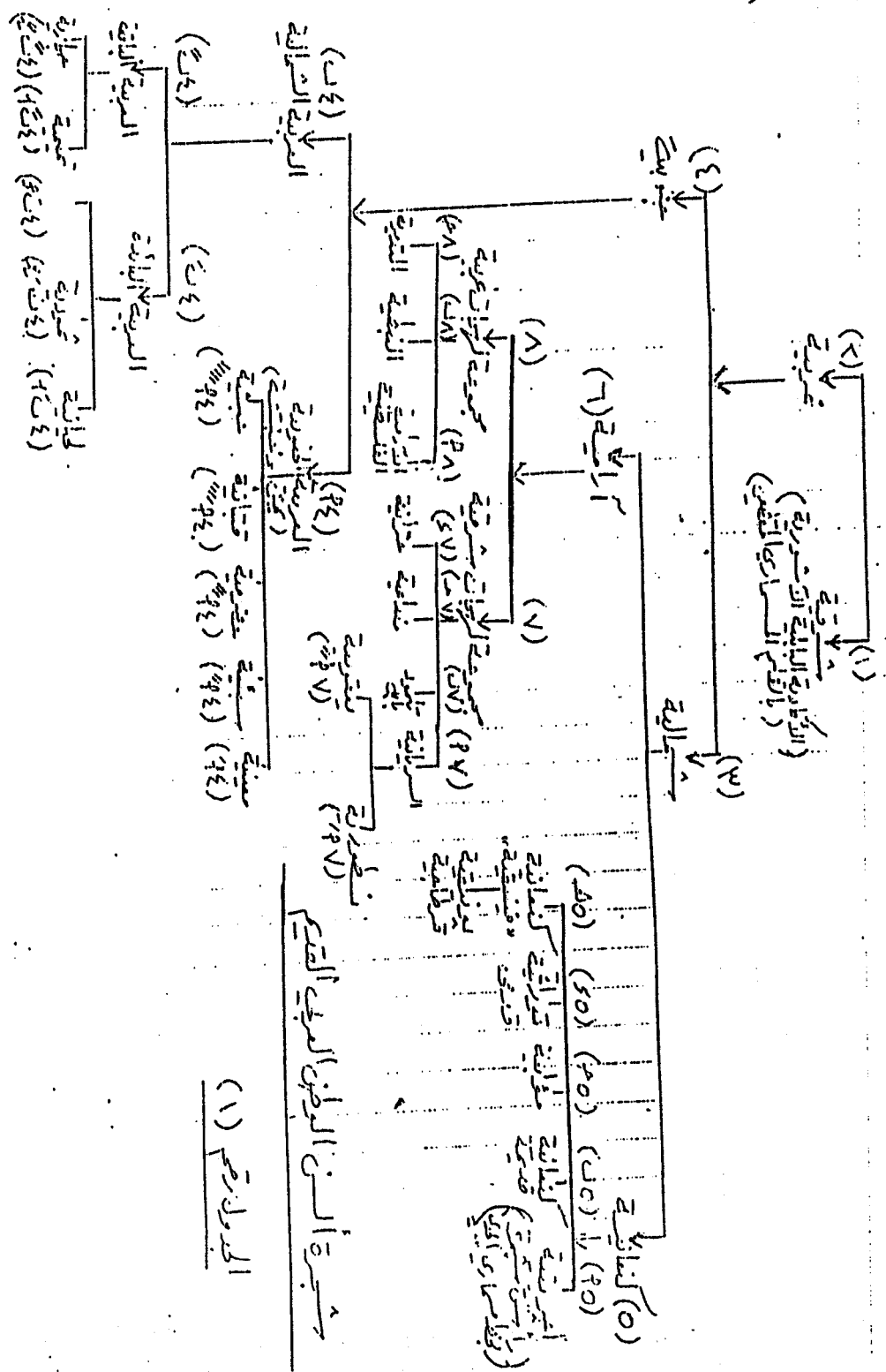
ولكن كما نعلم، ليس بحوزتنا حتى يومنا هذا من وثائق لغوية تاريخية عربيتها قريبة من عربية المعلقات والقرآن الكريم، وقلمها يختلف عما وجدناه في المسند ومشتقاته، سوى بعض الكتابات، التي تعد على أصابع اليد وهي الوثائق التي عثر عليها في المنطقة النبطية، أو في الأنحاء التي تمت بصلة إلى الأنباط أصلاً، أي في بلاد الشام، وأشرنا إلى هذه النقوش أعلاه.

ومن دراستنا لهذه الوثائق، نلاحظ أنها وجدت في منطقة الأنباط وفي تلك التي تأثرت بثقافتهم بشكل أو بآخر. وهذا مادعا للكثيرين إلى القول إن الخط النبطي هو أصل الكتابة العربية الشمالية، بينما يرى البعض الآخر أنه كان للكتابة السريانية دورٌ ملحوظ في تطور القلم العربي الشمالي.

وهكذا، كان النقاش محصوراً حول أثر كل من الكتابتين النبطية والسريانية في نشوء وتطور القلم العربي الشمالي بشكليه النسخي والكوفي (الحيري). ومن المعلوم أن الكتابتين النبطية والسريانية صدرتا أصلاً عن القلم الآرامي (انظر جدول رقم ١ "أرامية ٦"). ولقد قبلنا أيضاً هذا الرأي (٣٣)، حتى عام ١٩٨١، عندما نشرنا دراستنا "في أصول الكتابة العربية" وقلنا أنه لا يمكننا أن نقبل الرأي السائد في الأوساط الجامعية والأكاديمية، بعد الدراسات المقارنة التي قمنا بها.

لقد أوضحنا في دراستنا، أن القلم النبطي (الآرامي) راح يتعد تدريجياً عن أصله الآرامي، بعد سقوط الأنباط، (عام ١٠٦م)، ليقرب أكثر فأكثر من القلم المسند الحميري والخطوط المشتقة منه. (حيثي، ثمودي، صفاتي)، وبذلك راح يتكون قلم نبطي متأخر كان له دور جزري في نشوء القلم العربي القديم بفرعيه: الكوفي والنسخي، (انظر ملحق ٧)، حول "نظرية طور سيناء"، وأصل الأقلام الأبجدية أي أن الخط النبطي المتأخر ذا الأصل الآرامي. والذي كان له دور كبير في نشوء القلم الغربي الحجازي، قد تطور هو نفسه بتأثير من الخط المسند الحميري وفرعيه: الثمودي والصفاتي (*).

(١) لمزيد من التفاصيل، انظر مجلة دراسات تاريخية، العدد السادس، تشرين الأول ١٩٨١، ص. ٥٩-١١١، حيث بحثنا، في المؤتمر العالمي لتاريخ الحضارة العربية - الإسلامية، في دمشق، جهادي الأميرة ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ ميلادي.



الجدول رقم (١)

شجرة السن الوطن العربي القديم

جدول رقم ۳

[illegible]

ملحق (١) "أ"

١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١
 ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١
 ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١

شكل ١: نقش أم "الجمال الأولى" بكتابة نبطية (انظر الجدول رقم ٥ من المجموعة ب) وبمفردات آرامية وعربية، وهذا نصه مع الترجمة العربية:

القراءة الحرفية

النص:	دنه	نفشو	فهر
الترجمة:	هذا	قبر	فهر
	١	٢	٣
النص:	بر	شلي	ربو
الترجمة:	بن	سلي	مربي
	٤ (أ)	٤ (ب)	٥
النص:	ملك	تنوخ	
الترجمة:	ملك	تنوخ	
	٧	٨	

انظر للمقارنة جدول (رقم ٣، خانة ٥).

ملحق (٢) "أ"

١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١
 ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١
 ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١

النص:	دنا	نفش	مر	القيس	بر	عمرو	ملك	العرب	كله	ذو	اسر	التاج
الترجمة	هذا	قبر	امرئ	القيس	بن	عمرو	ملك	العرب	كلهم	الذين	نال	التاج

السطر الأول من نقش النمارة، ونلاحظ اتصال الحروف في الكلمة أكثر مما رأيناه أعلاه، في نقش "أم الجمال الأولى".

انظر للمقارنة جدول (رقم ٣، خانة ٦).

ملحق (٣) "أ"

أنا شرح بر كلمو سيد / الموكو

شكل ٣- السطر الأول من "كتابة حران" وتاريخ النقش هو سنة ٤٦٣ بحسب تقويم بصرى النبطي، حيث أصبحت بصرى عوضاً عن البتراء، عاصمة العالم النبطي، بعد أن قضى الامبراطور الروماني تريانوس على يد حاكم سورية الروماني A. C. PALMA على مملكة الأنباط وألحق أراضيها بالامبراطورية الرومانية عام (١٠٦ ميلادي)، باسم "الولاية العربية" Provincia Arabia وإذا أضفنا (رقم ١٠٦) على (٤٦٣) نحصل على تاريخ النقش بالميلادي، وهو (٥٦٨). "أي قبل بدء التاريخ الهجري بـ ٥٣ عاماً، ووُجد هذا النقش، كما ذكرنا سابقاً على حجر فوق باب مزار أقيم للقدّيس يوحنا المعمدان، في حران، "اللجاة" شمالي جبل العرب، وهو مكتوب بالعربية واليونانية.

النص:	أنا	شرحيل	بر	ظلمو	بنيت	ذا	المرطور
الترجمة:	أنا	شرحيل	بن	ظلمو	بنيت	هذا	المشهد (المرطور)

ملحق (٤) "أ"

امسوي ماعص عمر
معاك سوي
الى الله صكر
ما

شكل ٤- المقطع الأول من ثلاثة مقاطع منقورة في صخر جبل سلع بالقرب من المدينة المنورة من عهد الخلفاء الراشدين، وبعض حروف النقش قد عفا عليها الزمن، ونضيفها بين قوسين ونقرأ كالتالي:

أَمْسِي	وَأَصْبَحَ	عَمْرٍ	وَ	أَبُو بَكْرٍ	يَتُورُ (عَا)	إِلَى	اللَّهِ	مِنْ	كُلِّ
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
مَا	يَنْزُرُهُ	١٢	١١						

ملحق (٥) "أ"

- ١- ا ل ر ل و
- ٢- ع ك ا ل ل ه ع ب د الم ا د
- ٣- ا م ر الم و م ر ر ا م ه ا ل ل ه

شكل ٥- من كتابة كوفية منقورة في حجر طريق يعود لأيام عبد الملك بن مروان، وعثر على الحجر في فلسطين، ونقرأ كالتالي:

١- الطريق... (بقية السطر غير واضحة) ..

٢- عبد الله عبد الملك.

٣- أمير المؤمنين رحمه الله.

شكل ٦-

- ١- و ك ت ب ه ذا ال ك ت ب
- ٢- س و ا ل م ن س ن ه ا ر ب ع و
- ٣- س ل ل ر

الأسطر الثلاثة الأخيرة من كتابة كوفية على حجر قبر ثابت بن يزيد الأسعدي، عثر عليه في وادي الأبيض بلواء كربلاء، وتاريخ الكتابة سنة (٦٤هـ) وهي كالتالي:

١- وكتب هذا الكتاب في

٢- شوال من سنة أربع وستين.

بسم الله الرحمن الرحيم	والسما ذ	ت البروج	واليوم المو	عود و
السطر: ١	٢	٣	٤	٥
٦				

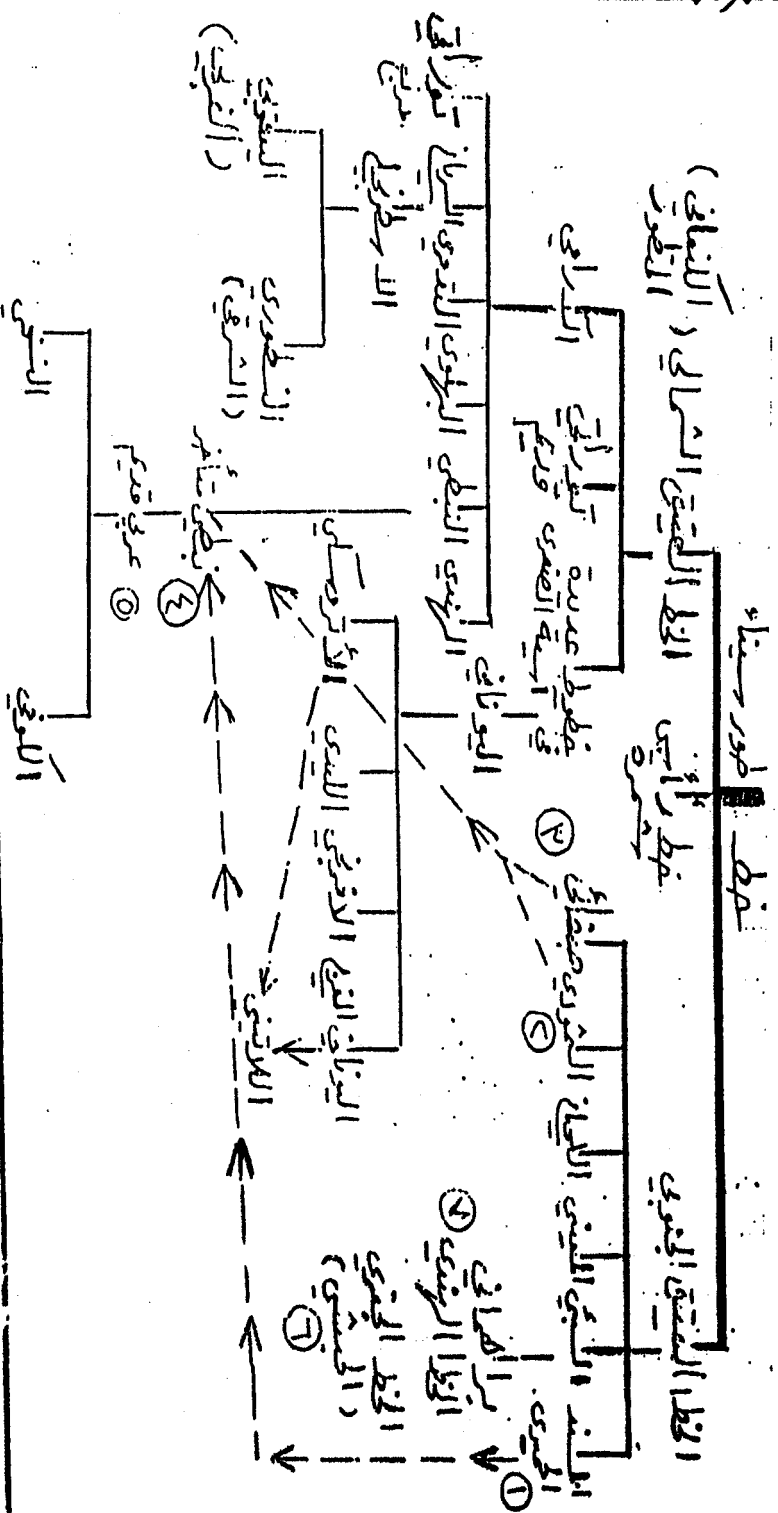
بسم الله الرحمن الرحيم
 محمد بن عبد الله
 بن عبد الله
 بن عبد الله
 بن عبد الله
 بن عبد الله

الط
١
٢
٣
٤
٥
٦

كتابة بخط كوفي على رق الغزال من المصحف الكريم
 المنسوب للخليفة علي بن أبي طالب
 (من روائع خزنة الروضة الحيدرية في النجف).

ملحق ٦

ملحق (٧) سلسلة تفروع الكتابات العتيقة : السهم مالمية والجنوبية



منشع أن الخطوط السبع إلى مطلع هذا القرن فانها راجعة في الاصل
 العامة أكثر من غيرها. F. Perrie, F. the formation of the alphabet, London 1918.

المصادر والمراجع:

- ١- برومليه، وبودولني، الأثنوس والتاريخ، ترجمة طارق معصراني، طبع في الاتحاد السوفياتي، دار التقدم ١٩٨٨؛ عبد العزيز بنعبدا لله، الوحدة الأصلية بين اللغات، مظهر لوحدة اتسانية عريقة، مجلة اللسان العربي، الرباط (المغرب الأقصى)، المجلد السابع، الجزء الأول ١٣٨٩ / ١٩٧٠ ص ٥ / ١٩٧٠، ومابعدھا: الدكتور حسن ظاظا، اللسان والإنسان، دار المعارف، بمصر ١٩٧١.
- ٢- اللغة والمجتمع الأسلي، مجلة للسان العربي، الرباط (المغرب الأقصى)، العدد السادس، 1970/1388، صفحة ١٤.
- ٣- محمد محفل، المدخل إلى اللغة الآرامية، منشورات جامعة دمشق الطبعة الخامسة، ١٤١١ - ١٤١٢هـ / ١٩٩١ - ١٩٩٤م. صفحة ٥.
- ٤- تاريخ العرب قبل الإسلام، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ص ٢٨٧.
- ٥- بالقي، بيستون، رويان، العول، مخترارات من النقوش اليمنية القديمة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس ١٩٨٥؛ الفريد بيستون، قواعد النقوش العربية الجنوبية "كتابات المسند" ترجمة الدكتور رفعت هزيم، جامعة اليرموك ١٩٩٥.
- ٦- محمود محمد الروسان، القبائل النشودية والصفوية، قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ص ص (٥١، ٢٢٧، ٣٢٨، ٣٨٠).
- 7 - P. Bordreuil D. Pardee , Un Abécédaire Du type sud - sémitique découvert en 1988 dans les fouilles archéologiques francaises de Ras - Shamra - Ougarit , in Académic des , Inscriptions et Belles - Lettres, Paris , 1995, p. p. 856-860.
- ٨- محمد محفل ، المدخل إلى اللغة الآرامية، ص، ص ٤١-٤٥.
- ٩- المرجع نفسه، ص ١١٤، الدكتور أحمد أرحيم هبو، المدخل إلى اللغة السرياقية وآدابها، منشورات جامعة حلب، صفحة ١٣١ وما بعدها.
- ١٠- الدكتور علي فهمي خشيم، آلهة مصر العربية، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراته، ودار الأفاق الجديدة، الدار البيضاء جزاءن، الطبعة الأولى ١٩٩٠.
- 11- C. Robin , Les plus ANCIENS Monuments De La Langue Arabc , In, L, Arabic Antique De kARIBIL a Mahomet, Edisud , No, 61. 1992, p. p 113-125
- وانظر أيضاً، محمد محفل، في أصول الكتابة العربية، مجلة دراسات تاريخية، تصدرها لجنة كتابة تاريخ العرب بجامعة دمشق، العدد السادس ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، صفحة ٩٦ وما بعدها.
- ١٢- الدكتور لويس عوض، مقدمة في فقه اللغة العربية، سينا للنشر، طبعة ثانية ١٩٩٣، صفحة ٢٥.
- ١٣- انظر، محمد محفل، المدخل إلى اللغة الآرامية، صفحة ١٩، وما بعدها.
- ١٤- السيوطي، المزهري، دار احياء الكتب العربية، ١٩٥٨. ج ١، صفحة ٢٠٩.
- ١٥- د. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، دار المعارف بمصر، القاهرة بلا تاريخ صفحة ١٨٦.
- ١٦- محمد الانطاكي، الوجيز في فقه اللغة، مكتبة الشهاب، حلب ١٩٦٩، صفحة ١٠٠.
- ١٧- نفس المرجع، صفحة ٩٩.

